

التواصل والأدوار داخل الأسرة

التواصل داخل الأسرة:

من المعروف أن الأداة التي تربط الناس ببعضهم البعض وتمكنهم من التواصل هي الرسائل اللفظية والرسائل غير اللفظية ، وتعتبر عمليات التواصل من العمليات المركبة جداً (صالح حزين ، ١٩٩٥) ، ويعتبر التواصل مكوناً ثابتاً وضرورياً لتطور الأفراد من علاقة ما قبل الزواج إلى العلاقة الزوجية ، وتستمر أهمية التواصل أثناء الزواج وخلال الحياة . (Ginsberg and Vegelson , 1977).

نحن نستخدم الرسائل اللفظية وغير اللفظية لنعبر عن أفكارنا ومشاعرنا ، ومن هنا تنقسم أسباب التواصل إلى نوعين هما : ١- التواصل الوجداني ، ٢- التواصل العقلي ، وستناول الكاتبة فيما يلي نوعي التواصل:

١- التواصل الوجداني :

إن المؤكد أن الوقوع في الحب هو أوضح الأمثلة على علاقة مسعدة ، إذ هو أشد العلاقات وأكثرها عمقاً ، وهو الذي يستثير أشد المشاعر إيجابية (هذا بالإضافة إلى بعض المشاعر السلبية) فالوقوع في الحب هو واحد من أهم أحداث الحياة التي تقدر إيجابياً . ويخيل إلينا أن للمسألة أصلاً بيولوجياً يتمثل في الحاجة إلى ربط الأزواج بعضهم ببعض لفترات طويلة تيسر الإنجاب ورعاية الأطفال . (مايكل أرجايل ، ١٩٩٣) .

إن " الحب ليس مجرد عاطفة يتغنى بها الشعراء ويتخذها الكتاب مادة لتأليف القصص ، وإنما يبلغ من خطرها أن علاقة الناس ببعضهم البعض تستند على أساس منها فماذا تكون حياة الأسرة بغير رابطة الحب؟ وكيف يظل المجتمع قائماً ما لم يؤلف الحب بين أفرادها؟ إن الحب عاطفة تتطور من الطفولة إلى النضج فترجع كفة العطاء في النضج بعد رجحان كفة الأخذ في الطفولة ، ويعتبرها الطب النفسي مقياس الصحة والمرضى . فأسلوب الإنسان في الحب عنوان شخصيته ومبلغ نضجه وما ظفر به من السعادة . إن الصحة النفسية هي المقدرة على الحب الكامل الأصيل بشقيه الشهوى والحنون مجتمعين إزاء شخص واحد والاستمتاع بالعمل المنتج ، الصحة هي الحب والعمل " (مصطفى زيور ، ١٩٨٠).

ويعتبر الحب واحداً من مكونات الزواج الناجح وكل منا لديه رغبة فى أن يحب وأن يكون موضوع حب . والعلاقة الزوجية الدافئة والمتزنة تمد الزوجين بالإحساس بقيمة الذات والانتماء مما يزيد من الشعور بالتقدير والأمان . والتقارب بين الزوجين يؤدي إلى إحساسهما بالراحة ويخفف من ضغوط العمل والمسئوليات الأخرى . وبالمثل - إعطاء الحب - وفهم وتدعيم شخص معين يحتاج ويستحق هذه الجوانب يشجع كلاً من الذى يعطى والذى يأخذ (Hengler & Borduin , 1990) .

وعندما يختار الإنسان الناضج ويتزوج بزوجة لها نفس مستوى النضج يستطيع الزوجان أن يحتفظا بفرديتهما ويحققان - فى نفس الوقت - تقارباً وجدانياً مريحاً وغير مهدد لأى منهما ، ولا ينخرط هؤلاء الأزواج فى إذابة الذات Fusion of Self ولكن يحدث هذا الانصهار فى الزواج الذى يكون فيه الزوج / الزوجة أقل قدرة على تمييز فرديته أو ذاته ، ويقصد بهذه الفردية أنه لا يستطيع أن يقيم علاقة عاطفية حميمة مع آخرين دون الانصهار الوجدانى أو فقدان الهوية ؛ لأنه لا يملك مستوى عالياً من النضج (Lidz , 1960) ، ويتضمن التواصل الوجدانى قدراً من العاطفة والفهم يوفرهما شريك الحياة تجاه الآخر سواء كان ذلك بشكل لفظى أو غير لفظى ، بما فى ذلك من إحساس بالمشاعر والرعاية من جانب شريك الحياة والإحساس بالإدراك الوجدانى والفهم من الآخر ويكشف الآخر عن ذاته (فيولا الببلاوى ، ١٩٨٧) .

تعتبر أساليب التواصل العاطفى بين الزوجين من أهم الخصائص التى تميز الجماعة الزوجية عن غيرها من الجماعات الصغيرة حيث تقوم ديناميات التفاعل الزوجى على التواصل العاطفى بين الزوجين .. فالمداعبة والملاطفة قد تعد من أساليب التواصل العاطفى التى توجه التفاعل الزوجى وجهة إيجابية (كمال مرسى، ١٩٩١) .

الحب والصدقة :

عن الفروق بين الصداقة وعلاقة الحب يشير دافيز Davis إلى أن الحب والصدقة يتشابهان فى وجوه عديدة ، غير أنهما يختلفان فى مظاهر أساسية تجعل من الحب علاقة أوفر إثابة إلا أنها أقل استقراراً ، ويعبر دافيز عن العلاقة بين

المفهومين في جملة موجزة يشير فيها إلى أن الحب صداقة (إذ يستوعب كل مكونات الصداقة) ، ولكنه يزيد عليها بمجموعتين من الخصائص وهما الشغف Passion والعناية Caring .

هناك ثمانى خصائص مشتركة فيما بين علاقتى الحب والصداقة وهى:

- ١- الاستمتاع برفقة الطرف الآخر .
- ٢- تقبل الطرف الآخر كما هو .
- ٣- الثقة فى حرص كل طرف على مصالح الطرف الآخر .
- ٤- احترام الصديق أو الحبيب والاعتقاد فى حسن تصرفه .
- ٥- المساعدة المتبادلة والنجدة عند الحاجة .
- ٦- فهم شخصية الطرف الآخر واتجاهاته وتفضيلاته ودوافع سلوكه .
- ٧- التلقائية وشعور كل طرف بأنه على طبيعته فى وجود الطرف الآخر .
- ٨- الإفصاح عن الخبرات والمشاعر الشخصية .

أما عن مجموعتى الخصائص اللتين تنفرد بهما علاقة الحب فهما:

(١) مجموعة الشغف: وتشمل ثلاث خصائص وهى:

(١) الافتان Fascination : ويعنى ميل المحبين إلى الانتباه إلى المحبوب والانشغال به حتى عندما يتعين عليهم أن ينخرطوا فى نشاطات أخرى ، مع الرغبة فى إقامة النظر إليه والتأمل فيه والحديث معه والبقاء بجواره .

(٢) التفرد exclusiveness : ويعنى تميز علاقة الحب عن سائر العلاقات الأخرى والرغبة فى الالتزام والإخلاص للمحبوب ، مع الامتناع عن إقامة علاقة مماثلة مع طرف ثالث.

٣) الرغبة الجنسية sexual desire : وتشير إلى رغبة المحب في القرب البدني من الطرف الآخر ولمسه ومداعبته ، وفى معظم الأحيان يتم ضبط تلك الرغبة لاعتبارات أخلاقية ودينية .

(ب) مجموعة العناية : وتحوى خاصيتين هما:

١) تقديم أقصى ما يمكن giving the utmost : حيث يهتم المحب اهتماماً بالغاً بتقديم أقصى ما يمكنه عندما يشعر بحاجة المحبوب إلى العون حتى ولو وصل الأمر إلى حد التضحية بالنفس .

٢) الدفاع والمناصرة Being champion / advocate : وتبدو فى الاهتمام والدفاع عن مصالحه والمحاولة الإيجابية لمساعدته على النجاح .

وقد تحقق دافيز واقعياً من أوجه التماثل والاختلاف بين الحب والصدقة على النحو الذى قدمناه ، وقد أظهرت بحوثه نتائج طريفة منها أن الاستماع برفقة المحبوب يفوق الاستماع بصحبة الصديق ، مع تميز الحب بقدرته على استثارة الانفعالات الإيجابية السارة فى طرفى العلاقة ، غير أن الحب فى الوقت نفسه قد يكون مصدراً لقدر أعلى من المنغصات والمعاناة والصراع والتناقض الوجداني والنقد المتبادل . (أسامة أبو سريع ، ١٩٩٣) .

التواصل الوجداني لدى المتوافقين وغير المتوافقين زواجياً :

يختلف تفاعل الزوجين غير المتوافقين عن تفاعل المتوافقين زواجياً ، وذلك فى وجود وجدانات إيجابية أقل ووجدانات سالبة أكثر ، ودرجة أكبر من تبادل الوجدانات السالبة ، فعلى سبيل المثال : نجد الزوجين غير المتوافقين يظهران تعاطفاً وعناية واتفاقاً أقل وكذلك يتسمان ويضحكان معا أقل فى أكثر الأحيان ، كما نجد أن الزوجات يشكين من أن الزوج منسحب انفعالياً بينما يشكو الأزواج من أن زوجاتهم منغصات فى الخلافات (Bradbury & Finchman , 1987 , Gottman)

الملاحظة في التفاعل الزوجي هي مؤشر على عدم الرضا الزوجي ، فالانفعالات السالبة لا ترتبط فقط بالمشكلات الزوجية ، ولكنها تتزايد بمرور الوقت (Mathews , et al , 1996) . ومن ناحية أخرى فإن إبقاء الزوجين على قدر معين من التوازن بين المشاعر الإيجابية والسلبية يبقى على اتزان العلاقة ، فقد تبين أن نسبة التفاعلات الإيجابية مقابل السلبية هي أثناء حل الصراع ٨ إلى ١ في العلاقة المتوافقة بينما كان ٥ إلى ١ في الزواج غير المتزن . (Gottman , et al , 1998) .

ولا يعاني الزوجان السعيان من صعوبة فهم الرسائل الانفعالية لبعضهما البعض ، بينما يشوه الزوجان غير السعيين تلك الرسائل بطريقة سلبية . ويبدو أن الأزواج أكثر ميلاً إلى إساءة فهم الرسائل الانفعالية للزوجات في الزواج غير السعيد (Atwater , 1985) وأحياناً ما نجد أن العلاقة الزوجية تعاني القليل من المشكلات العلنية ويظهر فيها الأبوان نوعاً من التوافق أو الإذعان المعلن للعلاقة الزوجية وتقاليدها ، إلا أنه لا مشاركة انفعالية بينهما تسمح بتبادل التنفيس عن المشاعر الحساسة القوية التي قد يعاني منها أحدهما أو كلاهما ، وهو ما يطلق عليه مفهوم الطلاق العاطفي أو الانفصال Emotional Divorce (حامد الفقى ، ١٩٨٤) .

٢- التواصل العقلي :

تتعلق كل عملية اتصال بشخصين على الأقل ويكون هدفها هو توصيل مدلول وبالتالي تكون نتائج الاتصالات منصبة على الغير ورمزية في الوقت عينه ، وتعتبر معظم العمليات السلوكية الاجتماعية اتصالات في جوهرها . والكلام هو المثال الأكثر شيوعاً للاتصال (دانيل لاجاش ، ١٩٨٠) .

ويقصد بالتواصل العقلي " التواصل بالكلام العادي للتفاهم حول أمور الأسرة والتعبير عن هموم العمل والحياة والإفصاح عن الاهتمامات والطموحات والحاجات والأفكار والانفعالات وغيرها ، ويتأثر التفاعل الزوجي بمستوى

الكلام ومضمونه وحالة المتكلم والمستمع . فعندما يحدث كل زوج الزوج الآخر بكلام طيب ويجده مصغياً إليه مشاركاً له ومهتماً به ، فإنه يتفاعل معه تفاعلاً إيجابياً ويقبل عليه ويرتبط به ، أما عندما يجده لاهياً عنه متدمراً منه أو محقراً له بقوله فإنه ينفر منه وينصرف عنه ، ويسوء التفاهم بينهما وقد يؤدي إلى الطلاق . أما عندما يقل الكلام المتبادل بين الزوجين ، أو حين يتوقف كل من الزوجين عن الكلام مع الآخر فإن التفاعل يضطرب ؛ لأن التوقف عن الكلام يعنى الخصام أو الإهمال أو عدم الرغبة فى التفاعل الزوجى ، ويؤدى إلى تنمية مشاعر العداوة ويشير الشقاق والصراع " (كمال مرسى ، ١٩٩١) .

أ- التواصل الجيد :

يتطلب التواصل الجيد بين عضوين فى الأسرة أن يكون أحدهما متكلماً والآخر مستمعا ، وأن يكون المتكلم مجيدا للتعبير عن الرسالة يريد توصيلها . حتى يرسلها بصدق وأمانة ، وأن يكون المستمع حسن الإنصات دقيق الملاحظة حتى يفهم الرسالة وما تحمله من معان مباشرة أو ضمنية . وهذا يعنى أن الإرسال والاستقبال فى التواصل الزوجى الجيد يقوم على وعى كل من الزوجين بالرسالة التى يريد الزوج الآخر توصيلها إليه فيحسن الإنصات إليها ، فالتواصل الجيد يتطلب مهارة فى التعبير ومهارة فى الإنصات . (تحية عبد العال ، ١٩٩٥) .

فبالأسرة السعيدة تتمتع بتواصل أكثر وأفضل فى تفاعلاتها ، فهم يتحدثون عن مدى واسع من الموضوعات ويبدو عليهم المزيد من الفهم لما سمعوه ، ويبدون حساسية عالية إزاء مشاعر الطرف الآخر ويدعمون تواصلهم اللفظى بكثير من الإشارات غير اللفظية (Ginsberg & Vogel song 1977 , and Atwater,) ، فعلى سبيل المثال كانت استجابات أحد الآباء من أسرة متوافقة على دليل التفاعلات الأسرية (البنت بتحب الأب وتفرح برجوعه البيت - وهو يحضنها - هى بتأخذ رأيه - وهو ينصت لها جداً ويحاول يجاريها ويشاركها فى لعبها ونصحها، تشكو له فيسقط لها الأمور - فيه مناقشة هادية) . وعادة ما تؤدى المناقشة بين الزوجين إلى إظهار مستوى عال من الدفء أكثر من مهمة حل المشكلات

(Melby et al , 1995) ، وقد توصل جونز وجوليوس إلى وجود ثلاث نقاط من سلوك التواصل تفرق بين المتزوجين والأقل الأكثر رضاً مما يميز المتوافقين هو : تبادل رسائل واضحة ومباشرة ، والاستماع الفعال ، والتعبير اللفظي عن الاحترام أو التقدير من الطرف الآخر . (Jones & Gallios , 1989) .

ب- التواصل المضطرب:

فى حين أن التواصل اللفظي مهم فى فهم اتجاهات وسلوك الطرف الآخر ، فإن التواصل اللفظي الخاطى يعد مصدراً للمشاكل الزوجية ، فالزوجان غير السعيدين كثيراً ما يعقدان مشاكلهما عن طريق التواصل اللفظي الخاطى كأن يعبران عن مشاعرهما بشكل غير مباشر وغامض ولا ينتقلان إلى بعضهما رسائل واضحة ومكتملة وقوية بما فيه الكفاية كما يفشلان فى الحصول على تغذية مرتدة من بعضهما البعض . (Ginsberg & Vogelsong 1977 , and Atwater , 1985) . ويكثر فى الأسرة المشكلة التواصل غير اللفظي والمقنع والمزاح ، ويتسم بأنه غير مباشر ويدور حول الأوامر الانفعالية اللاشعورية دون الاهتمام بالرسائل اللفظية ، أما اللجوء إلى الرسائل المقنعة المخفاه فغالباً ما يكون مدفوعاً بالخوف من فقدان الحب حتى إذا أدى ذلك إلى زيادة الاضطراب فى الأسرة . إذ إنه كلما كانت الرسائل غير واضحة زاد التوتر والخلط داخل الأسرة . واضطراب عملية التواصل لا يعكس فقط مرض الأسرة بل يساهم ويؤدى إلى ذلك المرض ، حيث يظهر التواصل عديم المعنى بين الزوجين فى الأسرة المضطربة .

ويمكن أن نضرب بعض استجابات الأزواج والزوجات على دليل التفاعلات الأسرية عندما يكن الزوج غاضباً من زوجته ، ويريد أن يعبر عن مشاعر الغضب نحو زوجته :

- ١- نمط صريح مباشر : " انت السبب فى أن الأولاد خرجوا من ورانا " .
- ٢- نمط غير مباشر : " هى بتكلمه (الزوجة) وهو يعطيها ظهره وكأنه مش سامعها " .

٣- نمط واضح ولكن مزاح : " أنا غاضب منك " (موجهاً الحديث إلى ابنته فى الوقت الذى يشعر فيه بالغضب من زوجته) (صالح حزين ، ١٩٩٥) وداليا مؤمن ، ٢٠٠٠) .

عادة ما ينسب - غير المتوافقين زواجياً - السلوك الإيجابى للطرف الآخر إلى عوامل مؤقتة وخارجية ، والسلوك السالب إلى عوامل عامة وداخلية مثل خصائص الشخصية (Mathews , et al , 1996) ، أو نجد بين الزوجين ما يطلق عليه متلازمة المحتوى - السياق Content - Context - Syndrome وهو نوع من العلاقات الزوجية يعطى فيه أحد الزوجين اهتماماً لمحتوى التواصل اللفظى فقط - لنفسه وللآخرين ، بينما يوجه الآخر معظم اهتمامه للتواصل غير اللفظى - لنفسه وللآخرين . فنجد الأول موجه نحو المحتوى Content - Oriented والثانى نحو السياق Context - Oriented بحيث توجد فجوة فى سياق التواصل بين الزوج والزوجة فى مثل هذه المتلازمة . (Gerson & Brasky , 1979) .

وهكذا يتضح لنا أن التواصل سواء أكان لفظياً أم غير لفظى فإن له وظيفة ودوراً هاماً جداً داخل الأسرة - سواء أكان فى نقل الأفكار أم فى نقل المشاعر والوجدان ، كما أن اضطراب هذا التواصل يؤثر على باقى جوانب العلاقات الأسرية من قدرة على حل المشكلات ، أو المشاركة فى الاهتمامات والأنشطة والأدوار التى يلعبها كل فرد فى الأسرة ، وعلى العلاقة الجنسية بين الزوجين ، بل قد يتسبب مع عوامل أخرى فى ظهور اضطرابات نفسية لدى أحد الزوجين أو كليهما ويهدم السعادة الزوجية .

طبيعة الأدوار الأسرية :

يشكل الدور - بشكل عام - التوقعات المشتركة لأفراد الجماعة عن أسلوب تفكير الفرد وسلوكه المتطلب منه فى مركز ما أو موقع ما ، وفشل الفرد فى تحقيق هذه التوقعات يعرضه لضغوط من جانب باقى أعضاء الجماعة للامتنال لها . وغالباً ما يحدد الدور سلوك الفرد فى علاقته بالأفراد الآخرين والذين تحدد أدوارهم ما يجب أن يسلكوه تجاهه . (محمود أبو النيل ، ١٩٨٧) .

وبعد الدور واحدا من أكثر المفاهيم التي يتكرر استخدامها فى العلوم الاجتماعية ، ورغم قيمة هذا المفهوم - أو ربما بسببه - لم يتم التوصل إلى إجماع على معناه أو طرق قياسه . (Shehan & Lee , 1990) .

أهمية الأدوار :

هناك أسباب تجعل للحديث عن الأدوار فى الأسرة أهمية خاصة وهى :
أولاً: أن العلاقات الأسرية هى الممر الضيق الذى تنفذ من خلاله أدوار المجتمع المركزية إلى الأعضاء الجدد .

ثانياً: قيام الأسرة بالتنشئة الاجتماعية يظهر لنا أن للأسرة نظاماً مركباً فى حقوقها ، فهى التى تعطى الأفراد المعنى والأمان والإشباع الحيوية ، كما أن لها أدواراً مركبة قد تتناغم أو تتصارع مع الوظائف الاجتماعية الأوسع . (Stierlin , 1977) .

ثالثاً: إن الأدوار الأسرية هى أنماط من السلوك تعمل على بقاء الأسرة وعلى التعامل مع المشكلات التى تواجه الأسرة (Murno et al , 1988) كما تقدم علاقات الأدوار الأسرية المتبادلة إشباعاً للحاجات الشخصية وفرصاً لحل الصراع ودعماً لصورة الذات المفضلة للشخص أو الصورة التى يحتاج إليها ، وأيضاً تعبير الشخص عن الدفاعات الضرورية ضد القلق فى علاقته بعضو آخر فى الأسرة . (Ackerman , 1961) .

وتعتبر كفاءة الزوجين فى أداء الأدوار الأسرية ومسايرة سلوكهما للتوقعات الأسرية من أهم العوامل التى تتنبأ بالرضا الزوجى ، فتوزيع الأدوار من النقاط التى يجب أن يحدث اتفاق بين الزوجين عليها كى يحدث توافقاً متبادلاً وكى لا يفكرا فى الطلاق (Chadwick et al ., 1976 and Kalmagkova , 1985) .

أنواع الأدوار الأسرية :

تتعدد الأدوار الأسرية التى يقوم بها الفرد فى أسرته وتختلف من عضو لآخر والشكل العام لكل دور من هذه الأدوار التقليدية عادة ما يختلف من أسرة إلى أخرى حسب المستوى الاقتصادي والاجتماعي والخلفية الثقافية والنفسية لهذه الأدوار .

ومن الممكن أن نلاحظ في الأسرة قيام الأفراد بأدوار سوية مثل:

أ- دور الموفق The binder : وهو العضو الذى يقوم بدور الموفق بين شخصين على خلاف أو صراع فى الأسرة .

ب- دور العضو الحسن The good one : وهو العضو الذى لا يتسرع فى إظهار مشاعره الملحة تجاه باقى أفراد الأسرة ويتصرف طبقاً لما تتوقعه الأسرة منه .
أو قد نجد أدواراً مرضية مثل:

أ- المستفز The provoker : وهو الطفل الذى يستفز الأعضاء الآخرين فى الأسرة ، وقد يبدأ الطفل - عن قصد - الشجار مع الراشدين أو مع أخوته وأخواته ، رغم أنه يعرف نتائج سلوكه هذا . وقد يعتقد لا شعورياً أن الطريق الوحيد ليجد مكاناً فى الأسرة هو خلق المشاكل .

ب- كبش الفداء The scapegoat : قد يلعب الطفل الذى يتعرض لإساءة المعاملة من قبل والديه هذا الدور وهذا الطفل يوجه إليه اللوم بسبب ما يحدث فى الأسرة ، يعتقد أعضاء الأسرة أن هذا الطفل هو المخطئ فى أى مشكلة تحدث ، كما يوقع الطفل اللوم على نفسه ويجد مكانه فى الأسرة على أنه ضحية الأسرة ، ولكى يجد الطفل مكاناً آخر فى الأسرة لابد أن تتغير ديناميات الموقف المسيء . ولنوضح ذلك نعرض حالة أليس كمثال :

تقول : حينما يحدث أى شىء فى المنزل أعرف أنها غلظتى ، وفى أحد الأيام رجع أبى للمنزل بعد العمل وكان فى غضب وثورة من عمله ، وقال أنه إذا كان لديه بنت أفضل لم يكن ليحدث هذا ، كما أن أمى حينما تحرق أشياء على الموقد تشعر أنها تصاب بالجنون بسببى ، وأنا أعرف أننى إنسانة سيئة لأننى السبب فى أى شىء يحدث داخل هذا البيت . (Mayholl and Norgard , 1983) .

ج- دور العضو السيئ The bad one : وهو العضو الذى يتسرع فى إظهار المشاعر الملحة باستمرار ولا يتصرف طبقاً لما تراه الأسرة .

د- دور المريض The sick one : وهو العضو الذى يسلك ويتحدث بضعف وبطريقة مرضية وغير صحية ولا يغير من موقفه هذا . (صالح حزين ، ١٩٩٥) .

هـ- الدور المعكوس Counter Role : يعطى الوالدان لأطفالهم دور الآباء ، أو ما يسمى Parentification ويكون على الأطفال أن يعملوا على راحة والديهم والقيام بالتدعيم الانفعالى لهم .. وإذا لم يلتزم الأطفال بهذا الدور يتعرضون للضرب المبرح والإساءة من الوالدين . (Stierlin , 1977) .

مثال: ليزا - طفلة عمرها ثمان سنوات تعرضت للإساءة البدنية من الأم بالضرب المبرح المتكرر مما ترك علامات على جسدها لكن دون حدوث كسور للعظام - ولأن الأم كانت تقضى وقتاً طويلاً فى الفراش بسبب توهمها للمرض كان على ليزا أن تقوم بالأعمال المنزلية والعناية بأختها الصغرى ، وكانت شديدة الحساسية لإدراك انفعالات الأب والأم - واستطاعت من خلال اللعب أن تعبر عن حاجتها الشديدة إلى الرعاية والاعتماد . (Mayholl and Norgard , 1983) و صالح حزين ، ١٩٩٥) .

وهذا الدور المعكوس الذى يقوم به الطفل يشبه ما أطلقت عليه هيلين دويتش شخصية "كأن" "As If" فهذه الشخصية قدرة هائلة على التقاط إشارات العالم الخارجى مع تكييف النفس والسلوك تبعاً لذلك ، وهى شخصية تبحث من خلال الجماعة لإضفاء محتوى وحقيقة لفراغها الداخلى لكى تحقق وجودها وهويتها - فهؤلاء الأفراد لديهم فراغ فى الحياة الانفعالية والأخلاقية . (Deutch , 1965) .

تبادل وتكامل الأدوار :

لا تنسب الأدوار السابقة إلى عضو واحد فقط فى الأسرة بل مع مرور الوقت يغير الأفراد أماكنهم (أدوارهم) مثل لعبة الكراسى الموسيقية ، فعلى سبيل المثال قد نجد الأعراض الاكتئابية تنتقل من الابنة إلى الأب إلى الأم مرة ثانية وهكذا (Stierlin , 1977) فوجود كم محدد من لعب الأدوار وتبادل الأدوار يعتبر أمراً

حتمياً في كل أسرة ولكن في بعض الأحيان تكون الأدوار المتبناة أو المغطاة لبعض الأعضاء ثابتة تماماً مما يجعل تغييرها أمراً صعباً بالنسبة لهم مثل دور المهرج ودور المريض ودور المتمرد ودور الرئيس (Murno et al , 1988) بحيث " يمكن القول إنه لدى فرد من أفراد الأسرة نوع من التوقع الشعوري واللاشعوري لما سوف يقوم به الأعضاء الآخرون في الأسرة من سلوك بحيث تصبح هذه التوقعات قوة أو سلطة صامتة ينصاع لها بعض أفراد الأسرة ولا ينصاع لها البعض الآخر .

كما نجد في كثير من الأحيان أن أحد أفراد الأسرة يملأ دوراً معيناً على فرد آخر ، ويقوم الآخر بتقبل هذا الدور ، ولكن الملفت للنظر هنا أن هذه الأدوار المتبادلة بين العضوين - من حيث فرض الدور وتقبل هذا الدور - تتم في مستوى لاشعوري ودون وعى تام من الطرفين . وهنا يأتي دور الأخصائي المعالج بالإيضاح والإفصاح عن هذه الأدوار المتبادلة التي تكاد تأخذ شكل الاتفاق المتبادل بين أفراد الأسرة ولكن دون معرفة واضحة أو وعى بهذا الاتفاق . ويمكن أن نرى هذه الأدوار التي تمارسها الأسرة بشكل تلقائي أثناء الأزمات أو مواجهة الضغوط أو عند القيام بعمل جماعي لمواجهة أمر عاجل حيث تتشكل الأدوار بين الأب والأم والأخوة والأخوات بالتقاليد الاجتماعية تلقائياً . أما الأدوار التي تنحرف عن الأدوار التقليدية فإننا نطلق عليها " الأدوار الشاذة diosyncratic Roles " (صالح حزين ، ١٩٩٥) .

هناك مصطلح على علاقة بمفهوم الأدوار وهو تكميل الدور ويشير إلى الطريقة التي يتناسب بها دور أحد أفراد الأسرة مع الآخرين ، فعلى سبيل المثال : توضع الزوجة دور في الفرد المستقل لتكمل الدور شديد الاستقلال للزوج (Gerson & Brasky , 1979) ، فالتكميل هو إكمال كامن للحاجات الانفعالية أثناء تفاعل الأعضاء في أدوارهم الأسرية معاً ، فمن المستحيل أن نعتبر أي دور في الأسرة منعزلاً عن غيره . ومن المهم أيضاً أن نأخذ في الاعتبار التوازن فيما بين علاقات الأدوار داخل جماعة الأسرة .

ويفرق آكرمان (Ackerman , 1961) بين نوعين من التكميل وهما التكميل السالب والتكميل الموجب وهو يستخدم مصطلح التكميل السالب ليشير إلى أنواع من توازن الدور في جماعة الأسرة والتي تخدم أساساً وظيفة تحييد الآثار المرضية للصراع والقلق - بمعنى علاج دينامي للاضطراب والمرضى .

ويستخدم مصطلح التكميل الموجب مع تسوية الخلافات فى علاقات أدوار الأسرة والتي لا تحمى فقط من التأثير المؤذى للقلق وضد الأمراض النفسية . ولكن تجعل من الممكن حدوث مزيد من نمو علاقات الزوجين ومزيد من تطور كل طرف كفرد ، بمعنى أن التكميل الموجب يخدم تلك المثالية المحببة للتبادل فى العلاقات الأسرية حيث تحث العلاقات الأسرية على نمو مبدع للعلاقة ولكل طرف على حدة (Ackerman , 1961) وكلما كان الدور الزوجى فى إعادة التوافق فى فهمه لما يتوقعه من الطرف الآخر فى معطيات الدور ، فكثير من التوافق فى الزواج يأتى من التكيف مع الأدوار الجديدة والتي تظهر فجأة فى الزواج ، وأحد الأشياء المهمة فى ذلك هو المرونة الكبيرة فى توقعات الدور بين الزوجين والمشاركة بينهما فى الأدوار ، فعلى سبيل المثال هناك عدد متزايد من الزوجات يشاركن الآن فى تمويل الأسرة من خلال العمل خارج المنزل ، فى حين يشارك الأزواج أكثر فى تنشئة الأطفال وفى الأعباء المنزلية (Atwater , 1985) .

ويرتبط أداء الفرد لدوره وأداء الطرف الآخر فى العلاقة الزوجية للدور بالرضا عن دور الذات الزوجى ، وإجماع الزوجين على دور معين له تأثير مباشر على الرضا الزوجى ، ولا يتضمن عدم الكفاءة فى أداء الدور بالضرورة نقص الإجماع عليه . فقد يجمع الزوجان ويتفقان على ما يجب أن يتم فى الأدوار المختلفة ولكن أحدهما أو كلاهما غير قادر وغير أهل لأداء دوره بكفاءة . ومن ناحية أخرى إذا كان اتفاق الزوجين على الأدوار قليلاً فإن اختلافهما فى الإدراك قد يؤدي إلى تقييم منخفض لأداء الطرف الآخر للدور (Burr et al ., 1979 & Bahr et al ., 1983) .

وقد اهتمت دراسات أخرى بالعلاقة بين المساواة فى الأدوار والعلاج الزوجى ومنها دراسة جراى وزملائه (Gray , et al , 1996) التى تناول فيها أنماط السلطة داخل العلاقة الزوجية وأى منها يظهر أفضل لتحسن للعلاج الزوجى ... ولأهمية موضوع السلطة الزوجية وارتباطه بالأدوار داخل الأسرة تعرضه الكاتبة فيما يلى :

السلطة الزوجية :

" تعنى السلطة الزوجية الصورة التى يتواجد من خلالها الرجل داخل أسرته حيث ينفرد باتخاذ القرارات ويفرض آراؤه وسيطرته على كل شئون الأسرة رافضاً المشاركة الإيجابية للزوجة " (منى رشاد ، ١٩٩٤) ، " فقد يفشل الزوج فى تحقيق هويته وتحديد ذاته فى العمل فيعود إلى استخدام زوجته كمجرد وسيلة لتأكيد ذاته فيؤكد إرادته عليها بمحاولات السيطرة المختلفة ، أو يعود إلى المثابرة فيصيح طاقة فى عمله ويهمل أسرته مستغلاً إياها لخدمة هذا العمل ، أو قد يعود إلى مرحلة الاستغلال فيدخل مع رفيق الزواج أو العمل فى صراعات عنيفة وحالات تعذيب متبادل ، أو يطلب من شريكه فى الحياة أن يلبي جميع طلباته دون تأخير أو تأجيل " (محمد شعلان ، ١٩٧٨) .

ومن ناحية أخرى يذكر أحمد طه أن غالبية الأسر المصرية فى السبعينيات تفضل الذكور عن الإناث وينعكس هذا بطبيعة الحال على أسلوب التنشئة لكل منهم ، ومثل هذه التربية تخلق رجالاً ساديين أنانيين ونساء مازوخيات سليات . (أحمد طه ، ١٩٧٩) وربما تغيرت هذه النظرة فى الوقت الحالى ، فالأمر يحتاج إلى دراسات.

كما أن هذه التربية تفسد العلاقات بين الرجال والنساء وبالذات العلاقات الزوجية . وتسبب مشاكل متعددة وخاصة للزوجات العاملات بسبب الصراع الذى تعيشه المرأة العاملة سواء فى عملها خارج البيت أو فى علاقتها مع زوجها داخل البيت ، أو فى علاقتها مع نفسها وصراعاها بين صفات الأنوثة التقليدية من طاعة وخنوع ، وصفات المرأة العاملة المستقلة الشخصية والرأى . (أحمد طه ، ١٩٧٩) وقد ينشأ الصراع بين الزوجين لرغبة أحدهما فى تفسير الأدوار المتوقعة منه ، كأن تقبل الزوجة فى بداية حياتها الزوجية بأن ينفرد الزوج بالسلطة ويأخذ

القرارات الأسرية ، ولكنها بعد مضي فترة من الزواج ، ترفض دور التابع للزوج وتطالب بالمساواة والمشاركة في القرارات مثلها مثل الزوج وقد يختلفان في الأمور التي تتعلق بالأبناء وتوزيع الأدوار عليهم فقد يرفض أحد الزوجين التقسيم التقليدي للطفل بينما يختص الزوج بالجانب المادي فقط ويحدث ذلك خاصة في حالة الزوجة العاملة (إجلال إسماعيل ، ١٩٨٧) .

وفي دراسة غريبة عن العلاقة بين طبيعة السلطة في الحياة الزوجية وكل من التوافق الزوجي والاستجابة للعلاج الزوجي السلوكي ، تم تقسيم عينة الدراسة تبعاً لتقسيم نمط السلطة : مساواة أو سيطرة الزوج ، أو سيطرة الزوجة ، أو الفوضى ، وقد تبين أن العلاقة الزوجية التي تتسم بالمساواة يكون فيها أفضل مستوى للتوافق الزوجي ، حينما تتسم العلاقة بالفوضوية يسوء التوافق الزوجي وقد استمرت هذه النتيجة حتى بعد العلاج ، بينما أظهرت الأسر التي تسيطر عليها الزوجة أفضل تحسن وزيادة في كل من الرضا الزوجي وتحسن في التواصل بعد العلاج (Gray et al , 1996) .

ويندرج تحت موضوع السلطة إساءة معاملة الزوجة الذي ظهر كمشكلة بين الجماعات النسائية التي بدأت مناقشة موضوعات نسائية في نهاية الستينيات ، وقد اكتشفت النساء "بالصدفة" شيوع مشكلة العنف في أسرهن ، وجذب هذا الموضوع مزيداً من النساء اللاتي اقتنعن أنهن لسن الوحيدات اللاتي تعرضن للضرب وأنهن شاركن في لعب دور الضحية . واكتشفن أخريات كثيرات لديهن نفس المشاعر والخبرات .

وفي عام ١٩٨٠م وصل الاهتمام بموضوع ضرب الزوجات إلى مرحلة الاهتمام بموضوع الإساءة للطفل في عام ١٩٦٨م ، فسنت له القوانين في المجتمعات الغربية وأعيد كتابتها وبدأت البرامج الوقائية والعلاجية تتم على يد الخبراء (Straus , et al , 1980) .

في دراسة طويلة للمتزوجين حديثاً في زواجهم الأول تم تقييم طبيعة العلاقة الزوجية مبدئياً في الشهر الخامس من الزواج ثم عند ثلاث مرات في السنة الأولى

والثانية والثالثة ، وتبين أن عدائية الزوج ترتبط ارتباطاً دالاً بتدهور العلاقة الزوجية (Newton & Keicolt – Glaser , 1995) . كما أن شرب الزوج للخمر يرتبط بعدائته وباعتقاده بأن الخمر هو عذر لعدوانه . (Leonard & Senchak , 1993) ، ومن المهم أن نذكر دور النقد النسائي للعلاج الأسري والزواجى ، فقد لاحظت هذه الحركة النسائية تجاهل موضوع عدم المساواة فى العلاج ، حيث تزايد الاهتمام العملى بالعنف والإساءة داخل الأسرة ، وكان أكثر من الاهتمام بتوزيع السلطة غير المتساوى بين الزوجين ، على الرغم من وجود علاقة بين أسلوب الحياة العادل والرضا الزواجى (Rabin , 1994b) .

وقد اهتمت الدراسات غير العربية بموضوع تقسيم السلطة ، ومنها دراسة قارنت بين المتزوجين ذوى الصراع المنخفض وذوى الصراع المرتفع .

أظهر الزواج والزوجات ذوو الصراع المنخفض والرضا العالى عن علاقاتهم سلطة متساوية مع اندماج الزوجة العالى فى صنع القرار بما فيه من أمور مالية ، كما نجد كلا الزوجين فى هذه العلاقة مهتما بتلبية حاجات الآخر والقيام بالمسئولية الشخصية والعمل على نمو الطرف الآخر ، فكل منهما مهتم بعدم استغلال الآخر. فذوو الصراع المنخفض أقاموا علاقات زوجية قائمة على الثقة ولم ينصحوا بعضهم بل استخدموا مبادئ العدل بمرونة ، وأظهروا مرونة أيضاً فى اتجاههم نحو الدور الجنسى ، وكان إدراكهم لاختبار أسلوب الحياة قائما على الحاجات الفردية وطبقوا فكرة العدالة فى جوانب متنوعة ومختلفة فى حياتهم ، أما ذوو الصراع المرتفع فلم يصلوا إلى نفس درجة المساواة فى السلطة ، حيث تتنازل الزوجات عن سلطة صنع القرار لأزواجهن ، ونجد أنهم يتعرفون على حاجات الآخر ولكن لديهم صراع عند تلبيةها ، ولديهم دور جنسى ذو طابع نمطى جامد ، ويميل كل منهم إلى التركيز على الآخر أكثر من أخذ المسئولية الفردية .

ومن جانب آخر لا تظهر هذه المجموعة الثقة فى العلاقة بل يظهرون خوفاً من الاستغلال . ويظهرون أنماطاً أكثر جموداً فى اعتمادهم على مبدأ عدل واحد ، وفى قوالبهم النمطية المتعلقة بالدور الجنسى وفى حاجاتهم إلى الاستحسان الاجتماعى (والذى يجد من اختيارهم الفردى لأسلوب الحياة) وفى تطبيقهم المحدود لفكرة العدالة . (Rabin , 1994a) .

ومع إهمال العلاج الأسرى لدراسة الفروق والمساواة بين الزوجين تضمنت أهداف العلاج الزواجى النسائى ما يلى : منح المرأة مزيداً من السلطة ، وتقسيم العمل على أساس الجنس وتغيير توازن القوة بين الرجال والنساء وتدريب على المهارة ، واستخدام المعالج لنفسه بطريقة بها عدالة . وفى ذلك يستخدم المعالج مهارات تدخلية تعتمد أولاً على الإطار النظرى مثل : العلاج الأدلرى والأساليب المتناقضة ، والتحليل التفاعلاتى . (Rabin , 1994b) .

إن كثيراً من المتزوجين الذين يسعون للعلاج هم فى فترة انتقالية ، حيث شاهدوا أسلوب الحياة التقليدى فى أسرهم الأصلية ولكنهم يسعون إلى علاقات أكثر حداثة وعلاقات قائمة على العشرة أكثر من آباءهم وأمهاتهم ويمكن أن نساعدهم كمتخصصين بما يلى :

١- مساعدة الزوجين على توضيح الفروق بين الجنسين التى تعوق تطور التواصل الجيد وعلى التكيف معها ، ويتجنب الإكلىنيكى إرجاع هذه الفروق للجنس ويؤكد الفروق بين الشخصيات .

٢- التأكيد على حق الزوجة فى التعبير عن غضبها وتحديد مصدره (فى الماضى والحاضر) ، ومساعدة الزوج على التعامل الإيجابى مع التعبير عن الغضب الذى قد يكون الوقود المؤدى إلى تغيير العلاقة .

٣- مساعدة الزوجين على اكتساب مزيد من المرونة من خلال تطبيق مبادئ العدالة (المساواة) فى جوانب مختلفة من الحياة .

٤- مساعدة الزوجين على تحمل المسؤولية الفردية ، وتقوية ثقة الزوجين بمساعدتهما على التعبير عن حاجتهما الفردية ، ويحتاج ذلك إلى تطوير مسئولية متبادلة في المساعدة على تلبية حاجات الطرف الآخر كالخصوصية وقضاء الوقت منفرداً والحاجة للمساعدة العينية وتغيير أسلوب الحياة والحاجة إلى مزيد من التفاعل مع الآخرين .

وتساعد هذه الأهداف الفرعية على تقدم كثير من المتزوجين حديثاً الذين يرغبون في أسلوب حياة جديد يتسم بالمساواة (Rabin , 1994a) .

نتهى من العرض السابق إلى أن للأدوار وظائف هامة في الأسرة وأن من هذه الأدوار ما هو سوى ومنها ما هو مرضى ، ولا تنسب هذه الأدوار إلى عضو واحد في الأسرة ، بل هناك تبادلاً وتكاملاً في أدوار أعضاء الأسرة كما قد تكون هذه الأدوار هي محور الصراع داخل الأسرة (داليا مؤمن ، ٢٠٠٠) . ومن ثم حاجة الزوجين إلى العلاج الزواجى لإعادة توزيع والاتفاق على الأدوار .



العلاقة الزوجية:

إن الزواج هو العلاقة المشروعة بين الرجل والمرأة والتي تتميز بالدوام والاستمرار والامتثال للمعايير الاجتماعية وتكوين أسرة ، وهو ظاهرة مقدسة ونظام إلهي و عام صارت عليه المجتمعات ، وهو الوسيلة الوحيدة لتنظيم العلاقة الجنسية وتحقيق الأمان والحب والعطف والمشاركة والاستقرار ، بالإضافة إلى بقاء النوع (راوية دسوقي ، ١٩٨٦).

والزواج هو استجابة للفطرة الكامنة في ميل كل ذكر لأنثى ، وميل كل أنثى لذكر ، أو هو كما تقول المقولة الهيجلية (لا وجود للأنا إلا في مواجهة الآخر) فالذات بدون الآخر تظل وجوداً خالياً من المعنى وتظل بلا وجود ، فهي في حاجة إلى الآخر من حيث هو وجود إنساني خالص ، وبالرغم من أن تلك الحاجة الإنسانية قد نشأت في حضان الحاجة البيولوجية لكنها اكتسبت استقلالها وأصبحت حاجة قائمة بذاتها بل قد تصبح في موقع السيطرة والتحكم في الحاجة الأصلية البيولوجية التي قد نشأت عنها ، فالإنسان منذ أن كان طفلاً في حاجة إلى الآخر وجنباً إلى جنب مع حاجته إلى إشباع مطالبه البيولوجية ، بل تعتبر تلك الحاجة (الحاجة إلى وجود الآخر) أشد قوة من الحاجة إلى إشباع المطالب البيولوجية والتي يمكن إشباعها بطريقة أو بأخرى (فرج أحمد ، ١٩٨٩) .

ويمثل الزواج العلاقة التي تقوم على رابطة رسمية بين رجل وامرأة وهي رابطة معترف بها من خلال الدين والقانون والمجتمع ، وبجيت لا يكون هذا الزواج مشروطاً بعامل الزمن (أى محدد بمدة معينة) بل زواجاً مطلقاً ، وبشرط أن ينتمى الزوجان في زواجهما إلى ما يسمى بالأسرة النووية ، كما أن هذا الزواج يهدف إلى إقامة أسرة وحياة أسرية مستقرة ودائمة ، وبناءً عليه يكون لكلا الزوجين حقوق وعليهما واجبات تجاه الشريك وتجاه المجتمع (سوزان إسماعيل ١٩٩١) .

الزواج السعيد وغير السعيد:

الزواج السعيد هو الذى يهيم لكلا الطرفين بيئة تتسم بالحنان والفهم ، كما يهيم للطفل الفرصة لكى يتعلم السلطة والنظام فى صورة مقبولة ، وكى يحيط بنظام

القيم ويسهل عليه التوحد الذكري والأنثوي في شكل صحيح ، كما يعطى الفرص للزوجين للوصول إلى توافق ناضج وإنشاء علاقات دائمة مع الآخرين ، والحصول على الإشباع الكامل ، وتحقيق الذات ، والحفاظ على الكرامة ، ومواجهة الخلافات الزوجية وما يتبعها من انفصال أو طلاق ويساعد على النمو السوي للشخصية (عبد المنعم الحفنى ، ١٩٩٤). وفي دراسة حديثة قارنت بين المتوافقين والمشكلين زواجياً توصلت إلى أن المتوافقين زواجياً لديهم قدر أكبر من التماسك والتقارب بين الزوجين والرضا عن العواطف المتبادلة بينهما ، والقدرة على حل الخلافات بطريقة فعالة ، والرضا العام عن مقدار وكيفية قضاء وقت الفراغ ، والاتجاه الإيجابي العام نحو العلاقة الجنسية التي تكون مشبعة لهما ، وهى علاقة يقل فيها سيطرة أحد الزوجين وانفراده باتخاذ القرارات ، ويتسم سلوكهم بالنضج ، وتقل السمات العصابية فى كل منهما ، ولديهم قدرة على التعلم من الخبرات السابقة ، ويقل التعارض بين شخصية الزوج والزوجة (داليا مؤمن ، ٢٠٠٠) .

ومن ناحية أخرى نجد أن العلاقة الزوجية الدافئة والمتزنة تشعر الزوجين بالانتماء إلى بعضهما البعض وبتقدير عال للذات مما يزيد من الشعور بالأمان والراحة ويخفف من ضغوط العمل والمسئوليات الأخرى ، ويقلل من فرص الإصابة بالاضطرابات النفسية ، كما ترتبط السعادة الزوجية بالسعادة العامة فى الحياة أكثر من عوامل أخرى . (Bowman, 1990, Henggeler & Borduin, 1999 and Halford et al, 1999)

أما الأسرة التى يحدث فيها الجو الانفعالى المضطرب والكرهية التى تشيع بين الزوجين ، تجعل من الصعب على الزوجين والأطفال - وعلى الناس من حولهم - إن لم يكن من المستحيل أن يستخدموا هذه العلاقات فى تنمية علاقات سوية مع الآخرين ، وتتضمن العلاقة الزوجية أهم عناصر الحياة الإنسانية فإذا كانت متوافقة كان لها أثرها البناء بالدرجة الأولى على الصحة النفسية ويبدأ كل من الزوجين الحياة الزوجية وله دوافعه واتجاهاته ووسائله فى التوافق (عبد المنعم الحفنى ، ١٩٩٤).

فالعلاقات الزوجية المضطربة والطلاق فيترك آثاراً سيئة على الزوجين والأسرة عامة ، فالتباعد العاطفي والخلافات المستمرة بين الزوجين يؤديان إلى معاناة أعضاء الأسرة على المدى القصير والطويل ، وتصبح العلاقة الزوجية نفسها مصدرًا جوهريًا للاضطراب النفسي للزوجين حيث ترتبط الأساليب غير السوية فى المعاملة الزوجية بالقلق العصائى والسلوك العدوانى للزوجين . (محمد خليل ، ١٩٩٠ ، Callen & Noller, 1987, Henggeler & Broduin, 1990, Behrens & Sanders, 1994)

ويرى البعض أن الزواج هو المثل الوحيد الذى يمكنهم اللجوء إليه هرباً من المتاعب ويرون أن عناصر الحب الزواجى يمكن أن تتغلب على مشاكلهم من خلال الشعور بالاطمئنان النفسى والإشباع الجنسى (جمال ماضى ، ١٩٨٩) ، ويمكن للحياة الزوجية أن تؤدى إلى التدهور من خلال الانغلاق والانشقاق وذلك من خلال العجز عن الوعى بما يتعلق بكيان المشتركين فيها وكذلك صراعاتهم الداخلية والخارجية ، فالزواج بما يحمل من صعوبة لا يطيقه إلا النادرة ، مما يجعل الحلول الوسطى تمثل قدرًا كبيراً من مقومات الاستمرار (يحيى الرخاوى ، ١٩٧٩) فعناصر الحب الزواجى من تقدير واحترام وسعى نحو مصلحة الطرف الآخر والتضحية من أجله والاطمئنان إليه والانجذاب الجنسى عناصر لا يستطيع الإيفاء بها إلا شخص ناضج نفسياً لديه ذات نامية قادرة على رؤية الآخر واحتياجاته (عبد العزيز القوصى، ١٩٨٣) .

ويعنى الزواج فى نظر المرأة أكثر مما يعنيه فى نظر الرجل ؛ ذلك أن المرأة تعلق الكثير من الآمال على الزواج وتشعر أنه كل حياتها ؛ ولذا فإن المشاكل التى تتولد عن حياتها الزوجية تنطوى فى نظرها على معانى أعمق ، ولعل هذا هو السبب فى أن عدد النساء الساخطات على الحياة الزوجية أكبر بكثير من عدد الأزواج الذين يشعرون بالضيق من حياتهم الزوجية (زكريا إبراهيم ، ١٩٧٦) .

وفى دراسة هدفت إلى تقييم أثر سن المرأة عند الزواج للمرة الأولى وسنها عند ميلاد الطفل الأول ، فتبين أن القيام بدور الأم فى سن المراهقة لا يزيد من حدوث الطلاق ، بينما يزيد الزواج فى سن المراهقة من احتمال اضطراب العلاقة الزوجية

فالسن عند الزواج - وليس السن عند ميلاد الطفل الأول - يرتبط ارتباطاً دالاً باحتمال تفكك العلاقة الزوجية (Moore & Waite, 1981).

ويلعب نوع العلاقة الزوجية دوراً هاماً ومركباً فى زيادة أو نقصان المشاكل والخلافات النفسية للزوجين بل وينعكس على حياة أطفالهما ، فأبناء المتوافقين زواجياً يميلون إلى الاتصال بالناس والتعاون معهم ويتميزون بالانزان الانفعالى والنضج والواقعية ، بل ويصبحون أكثر ابتكارية وتوافقاً من أبناء غير المتوافقين زواجياً (شيخه المزروعى ١٩٩٠ ، والسيد السيد ١٩٩٨ ، وصالح حزين ١٩٩٥) .

من جانب آخر ترتبط الخلافات الزوجية بكل من الاكتئاب والانسحاب وضعف الكفاءة الاجتماعية والمشكلات الصحية وانخفاض الأداء الأكاديمي وعدد من المشكلات السلوكية عند الأطفال (Gottman, 1998) . وللطلاق أيضاً آثاره النفسية السيئة حيث يرتبط بانخفاض التوافق النفسى بأبعاده وبارتفاع المشكلات الزوجية قبل الطلاق وبالعصائية (إجلال سري ، ١٩٨٢) ، وكذلك بارتفاع درجات النزعات العدوانية والانحراف السيكوباتى والسيكاثينا وهى مقياس فرعية من اختبار الشخصية المتعدد الأوجه لدى الزوجين (طارق عيسوى ، ١٩٩٥) .

وبالرغم من الآثار السيئة وغيرها التى يتركها كل من الطلاق والعلاقات الزوجية المضطربة ، تعد المشكلات الزوجية أكثر المشكلات التى تسجل فى مراكز الخدمة النفسية (Henggeler & Borduin, 1990 and Behrens & Sanders, 1994) .

ويعد الضيق الزواجى والطلاق ثانى الضغوط التى يمر بها الراشدون (Barbara & Tilly, 1994) . وقد تؤدى هذه العلاقات الزوجية المضطربة إلى الطلاق الذى ترتفع معدلاته لتصل إلى ٢٦٤ ألف وثيقة طلاق خلال العام الماضى ، وهى نسبة غير قليلة فى مصر ، وهى النسبة التى تم إشهارها بالفعل - بمعنى أن هناك حالات أخرى لم يتم إشهارها بعد ذلك فى آخر إحصائية ظهرت (الجهاز المركزى للتعبئة العامة والإحصاء ، ١٩٩٧) . وترى الكاتبة أن النسبة تزيد عن ذلك إذا اعتبرنا أن نسبة حدوث الطلاق لدى المسلمين أعلى بكثير من المسيحيين كما تزداد النسبة إذا حسبناها حسب عدد عقود الزواج.

وبنظرة عامة إلى نسب الطلاق في الوطن العربي سنجد أن نسبة الطلاق في المملكة العربية السعودية ارتفعت في الأعوام السابقة بنسبة ٢٠٪ ، كما أن ٦٥٪ من الزيجات عن طريق الخاطبة تنتهي بالطلاق .

وقد وصلت نسبة الطلاق في قطر إلى ٣٨٪ من حالات الزواج ، ووصلت نسبة الطلاق في الكويت إلى ٣٥٪ من إجمال حالات الزواج ، وفي البحرين وصلت إلى ٣٤٪ بينما حققت الإمارات أعلى معدل وهو ٤٦٪ .

وفي المغرب بلغت عقود الزواج في الرباط خلال العام الماضي ٨٥٦٩ عقد نكاح ، في حين بلغت حالات الطلاق ٢٧٢١ . وفي تونس نجد تفوقا واضحا في نسبة الإقبال على الزواج وانخفاض معدل الطلاق . (arabiyat.com) .

العلاقة الزوجية والاضطرابات النفسية :

« الواقع أن أسعد ما في الحياة هو ما تأتي به حياة زوجية سعيدة ، كما أن الحياة الزوجية التعيسة قد تكون سر شقاء الإنسان طوال حياته . ولا شك أن تحديد الفروق بين السعادة والشقاء في الحياة يمكن ملاحظته في الأشكال السلوكية السوية والمرضية التي تنجم عن الحياة الزوجية» (صالح حزين ، ١٩٩٥) . وفي الغالب تحدث المشكلات الفردية والزوجية معاً ، ويحتاج الإكلينيكيون إلى معرفة العلاقة الموجودة بين الاضطرابات النفسية والمشكلات الزوجية . (Halford, et al, 1999) .

وقد وجدت علاقة بين الحالة الزوجية للفرد والمرض النفسي ، حيث إن أعلى معدلات المرض النفسي (كالاكتئاب والقلق والدخول للمستشفيات النفسية) تحدث المطلقين والمنفصلين والأرامل والذين لم يتزوجوا على الإطلاق ، بينما يحقق المتزوجون أقل معدلات من هذه الاضطرابات . (Strean, 1985, Behrens & Sanders, 1994) .

وعلى أى حال ترى الكاتبة أن اعتبار الزواج هو الوقاية الضرورية ضد الاضطرابات النفسية يعتبر استنتاجاً غير دقيق ، فعلى أن نفرق بين العلاقات الزوجية المتوافقة وغير المتوافقة . وقد ترتبط المشكلات الزوجية ببعض

الاضطرابات النفسية ، فمثلاً يرتبط القلق المرضى بأساليب المعاملة الزوجية التي تشمل التسلط والقسوة ، أو النبذ والإهمال ، أو التدليل والحماية الزائدة (محمد بيومى ، ١٩٩٠ ب) كما ترتبط المشكلات الزوجية بالاكتئاب والهستيريا والقلق خاصة عند النساء ويسوء استخدام الخمر عند الرجال سواء فى الغرب أم فى المجتمع المصرى . (أسامة حسن ، ٢٠٠٣) .

إضافة إلى أن الأزواج والزوجات الذين حصلوا على علاج زواجى فى فترة ما من حياتهم - مما يدل على وجود مشكلات زوجية - كانت درجاتهم أعلى بشكل دال على عدة مقاييس من اختبار الشخصية المتعدد الأوجه وذلك مقارنة بالأزواج والزوجات العاديين خاصة مقياسى الانحراف السيكوباتى والمشكلات العائلية ، وقد حقق هذان المقياسان ارتباطاً قوياً بمقياس التوافق الزوجى (Hjemboc & Butcher, 1991) ومن جهة أخرى فإن وجود الفرد فى علاقة زوجية تتسم بالرضا يقلل من احتمال الإصابة بالاضطرابات النفسية (Halford et al, 1999) ، والعكس صحيح ، فالتوافق النفسى يؤثر على توافق الفرد فى حياته الزوجية (سوزان إسماعيل ، ١٩٩١) .

ويبدو أنه من الصعب تحديد أى من المشكلات الزوجية والاضطرابات النفسية يكون سبباً وأيهما النتيجة فكل منهما يؤثر على الآخر تأثيراً متبادلاً ، وستتناول فيما يلى العلاقة بين اضطرابات نفسية محددة هى: الاكتئاب والذهان والأعراض السيكوسوماتية وبين طبيعة التفاعلات بين الزوجين ، حيث يعتبر الاكتئاب والأعراض النفسجسمية ("سيكوسوماتية) من الأمراض الشائعة ويوجد عدد من الأبحاث تناولت العلاقة بينهما وبين المشكلات الزوجية ، أما الذهان فبرغم تأثيره على حياة الزوجين لم يحظ باهتمام كاف فى الدراسات .

(١) الاكتئاب:

تعتبر العلاقة الزوجية المضطربة مؤشراً قوياً لاحتمال الإصابة بالاكتئاب خاصة بالنسبة للنساء (Halford et al, 1999) . فبعد مرور فترة على الزواج يتعرف الزوجان على بعضهما البعض، معرفة جيدة ، وفى كثير من الحالات معرفة جيدة

جداً فيعرفان نقاط الضعف فى بعضهما البعض، وأثناء فترة الشجار من الشائع أن يريد كل طرف إيذاء الآخر والتصويب نحو هذه النقاط المؤلمة وتكون النتيجة - فى بعض الأحيان - يركز المتزوجون تفاعلاتهم على أن يكون كل منهما أفضل من الآخر وإحداث خسائر لدى الآخر مع الإبقاء على مفهوم ذات قوى بهزيمة الطرف الآخر وفى مثل هذه الحالات من عدم التوافق الزوجى تكون النتيجة هى الاكتئاب فيشعر أحدهما أن الزواج - الذى كان يحمل آمالاً عريضة - أصبح ميتاً به كثير من الإحباط والألم فتصبح الحياة لا أمل فيها ، ويصبح كل شىء أسود وكئيبيًا ، وبدلاً من أن يخفف الزواج مصائب العالم يجلب التعاسة والقلق والإحباط وأخيراً .. مشاعر اليأس . (Henslin, 1980) .

وحيثما يجتمع الاكتئاب مع الضيق الزوجى يقل الترابط بين الزوجين ، وتظهر علاقات سلطة غير متوازنة ومستويات عالية من العدائية ، وهناك متغيرات أخرى مرتبطة بالاكتئاب هى ضغوط الحياة السلبية وأساليب التأقلم غير المناسبة وانخفاض المساندة الاجتماعية (Berg & Cohen, 1995) .

وقد يختار الزوجان الاكتئاب أو عرض آخر كالمخاوف والقلق والشكاوى السيكوسوماتية كطريقة للوصول إلى توازن السلطة فى العلاقة ، فالشخص الذى لديه أعراض ولنفترض أنه الزوج يكون فى موقف نقص بالنسبة لزوجته التى تحاول أن تساعد وتغيره - إلا أن الزوج هنا يكون أيضاً فى موقف قوة برفضه المساعدة والتغيير .

وبهذه الطريقة نجد نوعين من التعارض الهرمى بين الزوجين ، الأول يتضح فى أن الزوج المشكل فى موقف نقص لأنه يحتاج المساعدة ، والطرف الآخر - الزوجة - فى موقف المساعد المسيطر . ومن ناحية أخرى يرفض الزوج المساعدة والتأثر بها مما يجعله فى موقف قوة تجاه زوجته ، فإذا ما نُحى السلوك المضطرب جانباً سيفقد الزوج الموقف المسيطر فى علاقته بزوجته التى ستحاول بشكل غير ناجح أن تغيره ، وإذا نجحت فى التأثير على الزوج المضطرب للتخلص من أعراضه سيفقد موقف القوة (بكونه الشخص الذى لديه أعراض) (Madanes, 1981) .

مثال:

كان الرجل هو المسيطر فى علاقته بزوجه فيما سبق ، وحينما بدأت الزوجة تنجح فى عملها ظهرت على الزوج أعراض الاكتئاب وأهمل فى عمله ، وأصبح اكتئاب الزوج مصدرًا للقوة لأن الزوجة رغم محاولاتها لمساعدته فشلت فى ذلك ، وهو أيضًا مصدر للضعف فى علاقته بها ، كذلك كانت الزوجة فى موقف قوة بسبب اكتئاب زوجها ولكنها فى موقف نقص لأنها فشلت فى مساعدته . (Madanes, 1981)

إن أعراض الفرد تنظم سلوك شريك حياته بطرق مختلفة وكثيرة ، فتحدد هذه الأعراض وقت الفراغ وكم المال المستخدم وكيفية العلاقة بالأسرة الممتدة وهذه مجرد أمثلة للجوانب التى يسيطر عليها عجز الطرف الذى يعانى الأعراض. فطبيعة العلاقة الزوجية تتأثر سلبًا بالجوانب العصابية فى شريك الحياة. (Madanes, 1981 Robin & Pamala 1994)

وربما لكل هذه الأسباب: طبيعة الأعراض المرضية ، طبيعة العلاقة الزوجية ، والمعنى الذى ترمز إليه الأعراض وربما لأسباب أخرى تظل الأعراض النفسية والتوافق الزوجى ثابت باختلاف الزمن ، فالأعراض النفسية من قلق ومخاوف لدى الزوجات واكتئاب لدى الأزواج هى مؤشرات رئيسية عن الرضا الزوجى. (Hafner & Spence, 1988)

من كل ما سبق نصل إلى أن التفاعل الزوجى المضطرب من الممكن أن يتفاعل مع صفات كل زوج للإبقاء على أعراض الاكتئاب . ولكن هناك دراسة حديثة أشارت إلى أن هناك دورا سببى للاكتئاب فى أحداث سوء التوافق الزوجى والمشكلات والصراعات الزوجية (Richard et al, 2000) وسواء كان الاكتئاب راجعًا لعوامل زوجية أو راجعًا إلى ضغوط غير زوجية تؤثر على حياته فإن التدخل المناسب هو علاج يعتمد على تقديم مساعدة للزوج المريض - Spouse aided Therapy (Berg & Cohen. 1995) .

(٢) المرض أو الذهان العقلي:

إن الأزواج والزوجات الذين يعيشون مع شخص لديه اضطراب ذهاني يواجهون مشكلات كثيرة تتضمن التكيف مع عدة سلوكيات مضطربة أثناء فترات الاضطراب الذهاني الحاد ، وكسر روتين أعمال المنزل (مثل الاستيقاظ أثناء الليل وعدم الانتظام فى الأكل والاهتمام بالذات) ، والسلوك الشخصى المحرج ، والانسحاب الاجتماعى والتبلىد الانفعالى ، كما أن هؤلاء المتزوجين تتسم علاقتهم الزوجية بانخفاض الرضا الزوجى . (Hooley, et al, 1987)

وبالرغم من ذلك تقل الدراسات التى تهتم بالزواج من شخص مريض عقلياً فى حين تكثر الدراسات التى تتناول طبيعة التفاعلات بين الشخص الذهاني وأسرة الأصل ، وستشير الكاتبة فيما يلى إلى المجال الأخير أولاً ، ثم تتناول العلاقة بين الرضا الزوجى وطبيعة الأعراض الذهانية التى يعانى منها أحد الزوجين .

أسر المرضى العقليين:

للمرض العقلى تأثير عميق على الأسرة ، ويتمثل فى الشعور بالخل من وصمة المرض العقلى ، وعادة ما يؤثر رد فعل الأسرة للمرض العقلى تأثيراً كبيراً على شدة المرض ومستقبله ، فالأسرة تنسحب وتراجع عن التعامل مع المريض مما يؤدى إلى إحساس بالذنب يعقد تفاعل الأسرة مع المرض المزمّن (Elkin, 1999) وتميز الأسر التى بها مريض فصامى بالتبادل الكاذب Pseudomutuality وهو نوع من أنواع الترابط الأسرى يهتم فيه أعضاء الأسرة بتحقيق الانسجام بين الأدوار المحددة لكل منهم على حساب الهوية الفردية ، وإذا كان تحقيق الهوية الشخصية أو الاستقلال الذاتى هو معيار التكافلية أو التبادلية السليمة ، فإن التبادل الكاذب يحول دون تحقيق ذلك ، فالاحتفاظ بالوحدة المظهرية وبالتعاون المظهرى والانسجام العلنى هو الهدف ، ويزعم الباحثون أن التكافلية الكاذبة تنطوى على مخاطر تهدد نمو الشخصية ، فمحاولات الاستقلال الذاتى أو التفرد الشخصى أو السلوك التباعدى يفسر فى هذه الأسر المريضة على أنه نوع من قطع العلاقة أو الرابطة

الأسرية ، وبالتالي ينبغي تجنبه. ويسود هذه الأسر قلة عدد الأدوار الثابتة ، وكثرة تبادل الأدوار ، وتعتبر النزعة الانفرادية أو الاستقلالية فيها من أهم الأخطار التي تهدد الانسجام والوحدة المظهرية فى هذه الأسر ، وإذا ما ألم بالأسرة مكروه فقد يكون السبب - فى نظر الأسرة - وجود نزعة استقلالية لدى البعض من أفرادها (حامد الفقى ، ١٩٨٤ - Alliani et al, 1992).

وتتميز العلاقة بين الأب والأم فى هذه الأسر بما يسمى بنمط الانشقاق الزواجى Marital Schism ويقصد به أن يكون هناك حالة خلاف مزمن وحاد ، مع تهديد مستمر بالطلاق ، وتتميز العلاقة الزوجية بالصراع المستمر ، فيستمر الزوجان فى عناد أو خصام ويظلا معاً بالرغم من المشاجرات لأن أحد الطرفين يكون معتمداً على الآخر ، وتسم العلاقة بالبرود والكره المصحوب بصراع أو انسحاب (عفاف حسن ، ١٩٩٨) فهناك فشل مزمن فى الوصول إلى إكمال الهدف أو تبادل الدور ، كما يستخدم المصطلح أيضاً ليشير إلى العلاقات الأسرية التى تتسم بتعلق الأطفال الزائد ببيت والديهم ، ويستخدم هذا التعلق - لتأخير أو منع التهديد بفشل الزواج وفى هذه الحالة يقوم الطفل أو الأطفال بالطريقة المنقذة (Gerson & Barsky, 1979).

ويسود هذه الأسر أيضاً العلاقة الزوجية الملتوية Marital Skew التى تشير إلى علاقات تدميرية والتى يكون فيها شخصية قوية وأخرى ضعيفة وفيها يسيطر الطرف الأقوى على العلاقة ويسمح الطرف الضعيف بحدوث ذلك (Gerson & Barsky , 1979 ; Bradbury and Fincham, 1990)

فهذه الأسر تتميز بسيطرة الأم وبوجود صراع غير محلول فى الأسرة كما أنه يوجد ارتباط بين درجة ذهانية الأب والأم ودرجة الأبناء على تلقى الرسائل ذات القيد المزدوج Double - Bind (عفاف حسن ، ١٩٩٨) ، وتعنى الرسائل ذات القيد المزدوج مواقف من التواصل اللفظى وغير اللفظى بين أعضاء الأسرة المريضة، حيث تحدث بين شخصين أو أكثر وتحمل معانى متناقضة فى نفس الوقت وهى مزودة بالعقاب وبعلامات تهدد البقاء تضع الفرد فى موقف يمنعه من الهرب

من مجال التواصل (Bateson et al, 1965) . وبالرغم من وجود نفس الاستعداد الجيني لدى كل من الفصامى واضطراب الشخصية الفصامية Schizotypel (SPD) فإن العلاقات الأسرية للأفراد الذين يتحمل إصابتهم بالفصام وأصيبوا به فيما بعد تتسم بقدر أقل من الرضا وذلك مقارنة بالأسر التي لدى أبنائها اضطراب الشخصية الفصامية والأسر التي ليس بها مرض عقلي (Sarnoff et al, 1987) .

الرضا الزوجى والذهان:

أما بالنسبة للعلاقة بين الرضا عن الزواج وإصابة أحد الزوجين بمرض ذهاني فعلى النقيض من المتوقع حيث نجد أن كثيراً من العلاقات الزوجية تستمر بدرجة من الرضا رغم شدة المرض وتكرار حدوثه لأحد الزوجين ، مما يجعلنا نتساءل لماذا تستمر بعض الزوجيات غير مضغوطة رغم الاضطرابات النفسية ؟

ولعل الإجابة على هذا التساؤل تكمن فى أن الأسرة التى بها مريض عقلي تتقبل تغير السلوك الذى يرجع إلى المرض العقلي أكثر من الأعراض التى تراها الأسرة راجعة إلى إرادة المريض ، فمعظم المرضى الذين تظهر عليهم الأعراض السالبة (مثل إهمال الاهتمام بالذات، والبلادة) مع عدم وجود أى مظاهر جسيمة تدل على عدم القدرة على الكلام والحركة والاهتمام بالذات . معظم هؤلاء المرضى - خاصة المتزوجين - كانوا قادرين على القيام بهذه السلوكيات فيما مضى ، ومن ثم يرى الطرف الآخر فى الحياة الزوجية أن هذه التصرفات ترجع إلى عدم رغبة المريض فى القيام بالسلوك المناسب ، وبدلاً من إرجاع سبب الأعراض السالبة إلى ((المرض)) يرجعونه إلى إرادة المريض .

أما الأعراض الموجبة (مثل الهلاوس والهذات) فيدركها الآخرون على أنها لا إرادية وغير مقصودة وبالتالي يرجعونها إلى المرض ... ورغم طبيعة هذه الأعراض فإنها ترتبط بمستويات أعلى من الرضا الزوجى لشريك حياة المريض مقارنة بالأعراض السالبة ، فشريك الحياة يلوم المرض بدلاً من المريض عند حدوث أى مشاكل بينشخصية نتيجة للأعراض.

مما يشير إلى أن الأعراض البارزة والهامة بالنسبة للإكلينيكي والأعراض المفيدة فى التشخيص قد لا تكون هى نفس. لأعراض البارزة والهامة للأسرة التى بها مريض عقلي (Hooley et al, 1987) وبذلك يتضح أن طبيعة الأعراض نفسها ذات تأثير على العلاقة الزوجية .

(٢) الأعراض السيكوسوماتية:

تشيع الأعراض السيكوسوماتية لدى المشكلين زواجياً ، فمعظم المرضى ذوى الأعراض الجسدية دون معرفة سببها متزوجون وهؤلاء تتسم علاقاتهم بنقص المودة والتقارب ، وتظهر المشكلات حينما لا يتم تلبية الحد الأدنى من احتياجات أحد الزوجين ، وكلاهما . وعادة ما يرجع الناس إلى طبيب الأسرة للمساعدة عندما يوجد اضطراب فى زواجهم ويظهرون فى العادة شكاوى جسدية وحاجة ضرورية لمتابعة الإرشاد الزواجى (Waring, 1986) ، ففى دراسة باسولو وزملائه (Basolo, et al, 1991) وجد حاجة الزوجين للذين يعانى أحدهما من الصداع إلى الإرشاد الزواجى ، فقد شعرا بالحاجة إلى الإرشاد فيما يتعلق بالعلاقات بالآخرين وبالعلاقات الجنسية والعمل ، وكان إرشادهم السابق فردياً .

العلاقة الجنسية بين الزوجين:

((من المسلم به أن الحاجة إلى الجنس وجدت فى الإنسان كما وجدت فى غيره من الكائنات الحية بحكم محددات وراثية ، غير أن هذه المحددات فى الإنسان بصورة خاصة تتحور وتتعدل وفق التقاليد والتدريب ، ومع أن هذه الحاجة لا تتساوى مع الحاجة للطعام والشراب من حيث أهميتها الآنية للحياة ، إلا أن أهميتها بعيدة المدى ، فهى أكثر وأعظم من الغذاء لأنها تتضمن التكاثر وبقاء الجنس وتنوعه وتطوره)) (سامى عبد القوى ، ١٩٩٥) . وقد خضع التكاثر عند الإنسان لمقومات الوجود الإنسانى ومعانية دلالاته ، ومثال ذلك تفضيل إنجاب الذكور على الإناث عبر مراحل من التاريخ يشير إلى ما للذكور من قيمة إنسانية تفوق القيمة الإنسانية للأُنثى فى ظل ظروف اجتماعية وحضارية معينة . (فرج أحمد ، ١٩٨٢) .

وقد بينت الدراسات الأنثروبولوجية أن الزواج هو الشكل الاجتماعي الإنساني للتعبير عن الدافع الجنسي . وقد ظهر بصورته الإنسانية مع بداية ظهور الوجود الإنساني ، والجدير بالذكر أن الوجود الإنساني لا نستطيع فهمه من حيث هو وجود جدلي يقوم في جوهره لا على الانصياع لما هو بيولوجي وإنما على تحطى ما هو بيولوجي ، على تجاوزه والتعالى عليه واتخاذ موقف منه والبحث عن معنى له..... فالإنسان لا يقبل على الجنس لمجرد التكاثر أو لمجرد لذة بيولوجية ، إنه يتضمن عنصر المعنى والخيال ومن ثم لا ينفصل عن الحضارة واللغة والتصور الذهني والمركز الاجتماعي . (فرج أحمد ، ١٩٨٢) .

وتتميز العلاقة الجنسية المتوافقة باستمتاع كل من الزوجين بإشباع حاجته إلى الجنس مع الزوج الآخر ، واتفاقهما على أهداف هذا الاستمتاع وإجراءاته وشعورهما بالمودة والعطف والحب والرضا في علاقتهما الجنسية ، فالإشباع الجنسي بين الزوجين ليس لذة جسدية قصيرة الأمد ، لكنه متعة نفسية طويلة الأمد تسعد الزوجين وتجعل كلا منهما يسكن إلى الآخر ويطمئن إليه . (كمال مرسى ، ١٩٩١) .

كما أن « التوافق الجنسي ليس مجرد إشباع حاجة الفرد بقدر ما هو إشباع حاجة الطرف الآخر أيضاً ، فالجنس اتحاد زوجين وجسدين باشتراك لا يتعارض أو يتنافر ويهم كل طرف أن يسعد فيه الطرف الآخر » (صلاح مخيمر ، ١٩٧٩) .

العلاقة الجنسية المتوترة:

يختلف فهم العلاقة الجنسية بين الزوجين في العلاقات المتوترة ، فهناك من يرى (Williems, 1995) أن الرجل يعطى الحب للمرأة ليحصل منها على الجنس ، بينما تعطى المرأة الجنس لكي تحصل على الحب ، وعلى الرغم من ذلك فإن الفشل في التكيف الجنسي بين الزوجين قد يكون تعبيراً عن انعدام التوافق في مجالات أخرى من الحياة الزوجية ولكن العلاقة الجنسية هي التي تقوم بتسجيل أعمق لهذه الاضطرابات (Wilson, 1993) ، بحيث يمكن القول: إن «البعد الجنسي» يعتبر موضوعاً ثانوياً بالنسبة للعوامل الشخصية والاجتماعية والثقافية التي تؤثر على

توافق الزوجين في دائرة العلاقة الزوجية ، وبالتالي عندما تظهر مثل هذه العوائق الجنسية أو تطفو على السطح باعتبارها الأساس فإنها لا تعدو أن تكون مجرد تعبير عن توترات نشأت أصلاً عن صراعات ومشكلات أخرى معلنة فشل الأسلوب المتبع في حل هذه الصراعات ، كما أن التوافق الجنسي هو نتاج لنجاح الفرد في مجالات أخرى من العلاقات الزوجية أو انعكاس لها ، فالفحص الدقيق للبرود الجنسي يكشف لنا أنه دليل على قيام مشكلات أكثر تعقيداً يكون التعبير الجنسي تعبيراً خارجياً لها ينعكس على سلوك الزوجة ، قد يكون منشأ البرود الجنسي اختلاف الاتجاهات والقيم والمعايير التي ينظر بها كل من الزوجين إلى العلاقة الجنسية ، وفي أحيان كثيرة يكون نتيجة فقدان الثقة بالنفس ، أو شعور الزوجة بفشلها في مبادلة زوجها عواطفه وبالتالي لا تستجيب لدعوة الجنس التي يقدمها (محمود حسن ، ١٩٨١) .

فعدم التوافق الجنسي يقف وراء مشكلات أسرية ، ليس لها علاقة بالإشباع الجنسي منها الخلافات حول النواحي المادية والعادات والطباع وتربية الأولاد وغيرها ، فالإحباط الجنسي يجعل ردود الأفعال في التفاعل الزوجي غير ودية ويؤدي إلى الشقاق والصراع بين الزوجين (كمال مرسى ، ١٩٩١) . وانخفاض الرغبة الجنسية لها علاقة بسوء التوافق الزوجي والقلق والاكتئاب (Trudel et al, 2001) .

والعكس صحيح ففي دراسة مقارنة باستخدام المقابلة الشخصية مع حالات زواج سعيد ، وحالات زواج غير سعيد ، حضرت للاستشارة العلاجية تبين وجود ارتباط قوى بين التوافق الزوجي واستمرار العلاقة الجنسية بين الزوجين (Voyal & John, 1985) فالتوافق الجنسي أساسى فى توجيه التفاعل الزوجي إلى التعاون (كمال مرسى ، ١٩٩١) . حيث نجد لدى المتوافقين زوجياً إيجابياً عاما نحو العلاقة الجنسية والتي تكون مصدر إشباع لهما ومصدر تقارب فى حياتهما ، فمن أبعاد الزواج وجود علاقة جنسية للزوجين . (فيولا البلاوى ، ١٩٨٧ - Barbara & Tilley, 1984) .

من المهم فى نجاح الزواج أن يرضى كل زوج بتكرار معين ونمط معين لصنع الحب ، وعندما يظهر عدم الرضا الجنسى عادة ما يكون علامة على وجود مشكلة فى مستوى آخر من العلاقة كما ستوضح الأمثلة الآتية :

مثال (١) :

« جون ومارى زوجان صغيران وجذابان حضرا للعلاج بسبب خوف من أنهما يتباعدان عن بعضهما ، وكان الجانب الأكثر بروزاً لهذا الخوف أن حياة جبهما الممتعة السابقة قد اختفت . جون كان يعمل فى عمل إدارى وكان ناجحاً جداً يعمل لمدة ٧٠ ساعة فى الأسبوع . وخلال ساعاته القليلة من وقت الفراغ يقوم بمهام كثيرة مرتبطة بالمنزل أو ينام ، وقد حصلت ماري على درجة الماجستير فى تاريخ الفن وهى أيضاً نشيطة جداً . وكانت ترعى طفلها الذى يبلغ ١٨ شهراً وتشارك فى عدة دروس للتمارين الرياضية وأحداث رياضية كل أسبوع ، وكنتيجة لنمط حياتهما وحقيقة أن كل زوج ينهك جسدياً عندما تصل الساعة التاسعة مساءً يكون من السهل فهم لماذا لا تسير علاقتهما الجنسية جيداً .

يعكس نقصان الأنشطة الجنسية ، لمارى وجون عدم ارتباط عام فقد ارتكبا خطأ (على الأقل بمصطلح العلاقات الزوجية) عادة يحدث للمتزوجين الشباب النشيطين ، فكل طاقتهم تركز أولياً للنجاح فى العمل ومتابعة الرياضة البدنية ، وينظرون إلى زواجهم على أنه شىء مضمون معتقدين أنه سيعتني بنفسه ، هذا الاعتقاد كان قائماً على حقيقة أنهم قد طوروا بالفعل علاقة جيدة ستحافظ على نجاحها أياً كانت محاولاتهم . (Henggeler & Borduin, 1990)

مثال (٢) :

« فيليب ونانسى لديهما عدة صعوبات جنسية وكان من إحدى شكاوى نانسى الأولية أن الجماع يستمر دقيقتين فقط ، ومن شكاوى فيليب الرئيسية هو أنه ونانسى نادراً ما يقومان بالجنس . وعلى أى حال تم التعبير عن هذه الشكاوى للمعالج بعد عدة مقابلات مع الزوجين ، ومع ذلك تم التعبير عنها بتردد كبير ،

احتاج الزوجان إلى وجود طرف ثالث موضوعي ومدعم قبل أن يعبرا عن أى موضوعات جنسية ، ومع مساعدة المعالج استطاع فيليب أن يفهم كيف أن خصوصية صنعه للحب أدت إلى نتيجة سلبية فى فكر نانسى فقد شعرت أن فيليب يستخدمها وأنه يراها كشيء وليس كشريك الحياة ، وبالمثل استطاعت نانسى أن تتحقق (تصدق) أن رفضها المتكرر للمقدمات الجنسية لفيليب جعله يشعر برفض شخصى له ، وقد شعر أنه غير آمن فى الزواج . واعتقد أن نانسى على علاقة بشخص آخر ، وعندما وصلا إلى فهم متبادل استطاعا بعدها وضع خطط لتغيرات محددة فى حياة الحب بينهما . وتضمنت هذه الخطط وصف لما تريده نانسى بالضبط أن يحدث أثناء الجماع ، وكيف على فيليب ونانسى ابتداء النشاط الجنىسى بطريقة جديدة . (Henggeler & Borduin, 1990)

ومن جانب آخر قد تبدو مؤشرات اضطراب العلاقة الجنسية قبل الزواج ، وفى دراسة عن إقامة علاقة غير شرعية قبل الزواج وتأثيرها على طبيعة العلاقة الزوجية ، وكانت العينة من المتزوجين حديثاً تبين وجود ارتباط بين إقامة علاقة غير شرعية قبل الزواج بين الزوجين وأقل قدر من التواصل لدى الزوجات وأقل قدر من الرضا الزوجى للزوجين .

فبدلاً من أن يكون هذا السلوك ((فلتر)) يفرز بشكل فعال المتزوجين الأقل انسجاماً فإن وجود علاقة غير شرعية تختار من هم أقل ميلاً للشعور بالرضا حينما يتزوجون ، وقد يرجع ذلك إلى حقيقة أن هؤلاء الأفراد يتوقعون إمكانية حدوث طلاق منذ البداية ، وقد يتكيفون بطريقة أقل جدية مع توقعات الدور فى الزواج التقليدي وفى الحاليتين - فإن الاحتمال الأقوى والمرتبطة بهذه النتيجة هو أن الاختلاف بين الناس الذين يختارون والذين لا يختارون إقامة علاقة غير مشروعة قبل الزواج أهم من خبرة العلاقة نفسها . (De Maris and Leslie, 1984).

وإذا كانت إقامة علاقات جنسية خارج الزواج لا تشجعها معظم الثقافات فإنه يوجد أكثر من ٨٠٪ من الرجال والنساء قاموا بعلاقة جنسية (جماع) قبل الزواج فى الولايات المتحدة بما يتناسب مع النقلة الحديثة فى البلاد المتطورة تكنولوجياً نحو مزيد من الحرية عن التعبير الجنىسى . (Berkow & Others, 1982).

وفي حين رأى بعض علماء الاجتماع أن العلاقة غير المشروعة تعتبر فترة تدريب فعالة قبل الزواج أو أن العلاقة غير المشروعة ستحسن اختيار الشريك فإن هذه الآراء لم تدعمها نتائج الدراسة الميدانية (De Maris and Leslie, 1984) ومما يتفق مع الشريعة الإسلامية ومع عادات وتقاليد البلاد العربية.

كما سبق نرى أن العلاقة الجنسية هي علاقة تتم بين زوجين لكل منهما دور ومشاعر ولا بد أن تتلاقى هذه الأدوار وهذه المشاعر بشكل يمنح كل منهما متعة مشتركة ومتبادلة ، وتبدو أهمية هذه العلاقة من أنها تعكس الخبرة الإنسانية فهى علاقة لا بد أن يتواجد فيها آخر يوجه إليه الحب ، علاقة تجعل من كل طرف مرآة تعكس قدرته على منح الحب للشخص الآخر المختلف ثم تقبل لهذا الحب ، مما يعطى الأول الإحساس بحسن وقيمة ما وهبه من مشاعر ؛ لذا من الأفضل فهم العلاقة الجنسية فى السياق الكلى للعلاقة الزوجية ، فمن الصعب أن يكون للزوجين حياة حب جيدة عندما يكون أحدهما غير مرتبط عاطفياً بالآخر أو حين يشعر أنه مستغل على المستوى الأدائي ، فالعلاقة الجنسية السوية هي مرآة لعلاقة زوجية متوافقة ، واضطراب العلاقة الجنسية يعكس اضطراباً فى جانب أو أكثر من العلاقة بين الزوجين من تفاهم وقدرة على حل المشكلات أو وجود أنشطة واهتمامات مشتركة بين الزوجين بحيث يؤثر كل ذلك على الاستجابات الفسيولوجية أثناء العلاقة الجنسية ، ولكى تعود هذه الاستجابات الفسيولوجية أثناء العلاقة الجنسية ، ولكى تعود هذه الاستجابات الفسيولوجية إلى مداها الطبيعي يمر الزوجان بخطوات خلال الإرشاد الجنسى لتسهم فى إيقاف الأنماط المضطربة المستمرة فى العلاقة .

الخلافات الزوجية :

((برغم الأفكار الرومانسية التى تدور حول الزواج ، ينتشر الصراع فى العلاقات الزوجية ، ويقوم كل من الرجل والمرأة بتصرفات تحبط وتغضب الطرف الآخر ، وبالتالي ينشأ الصراع بينهما)) (Buss, 1991) ، ولقد بدأ الشباب والمقبلون على الزواج فى إدراك أن مستقبلهم الزواجى يواجه مشكلات ، وقد أشارت

إحدى الدراسات التي أجريت بالإمارات أن طلاب الجامعة يدركون قلة معلوماتهم ومهاراتهم لتكوين أسرة مستقرة ، في حين ترى الطالبات أن لديها قدراً من الخوف من الزواج وترك أسرهن (إبراهيم شوقي ، ٢٠٠٢) ، ويمكن القول: إنه لا يوجد ما يمكن أن نسميه علاقات زوجية غير متوترة ، فالتوتر وارد كماً وكيفاً ، وكذلك المعاناة وهما موجودان في كل العلاقات الزوجية بنوعيات مختلفة ، ويرجع الاختلاف في نوع التوتر ومداه إلى اختلاف نوع الضغوط والبناء النفسى للزوجين وإدراكهما للتوتر)) . (ماري حبيب ، ١٩٨٣) .

في دراسة عربية على عينة مكونة من ٦٠ من المتزوجين المتوافقين وغير المتوافقين والمطلقين أعدادهم ٣٨ - ١٠ - ١٢ على التوالي ، تزوجوا وطلقوا خلال الأربع سنوات الأولى من الزواج ، تبين أن مشكلات التواصل تمثل ٣٣٪ من جملة المشكلات الزوجية ومنها عدم التفاهم وانقطاع الحوار وعدم احترام آراء الطرف الآخر ، وعدم التعبير عن مشاعر الحب ، ويلبها عدم القدرة على حل الخلافات ١٥٪ ، وخلافات حول تربية الأطفال وعدم التعاون وعدم تحمل المسئولية ١٥٪ ، ثم مشكلات تدخل الأهل أو عدم احترام أهل الطرف الآخر ١٠٪ ثم مشكلات مالية ٨،٥٪ تمثل في مجل الزوج ، وهناك مشكلات متنوعة منها الخيانة والعناد والمشكلات الجنسية ونقص الاهتمامات المشتركة (داليا مؤمن ، ٢٠٠٠) وتتفق هذه النتائج مع بعض الدراسات الأجنبية التي ترى أن وجود علاقة وثيقة كالزواج لا بد أن تتضمن درجة من الصراع ، ومن أكثر الخلافات شيوعاً مشكلات فى التواصل وفقدان الأهداف المشتركة والتنافر الجنى وكلفها ترتبط بعلاقة الزواج نفسها . وهناك مشكلات كثيرة تتضمن المال والأطفال وعدم الإخلاص بين الزوجين (Atwater, 1985) .

ولا تعنى السعادة الزوجية انعدام المشكلات التي تواجه الزوجين ، وإنما تعنى بالأحرى المقدرة على مواجهة تلك المشكلات والعمل على حلها ، ومن ثم فإن الزوجين السعيدين يواجهان بعضاً من المشكلات التي قد لا تختلف عما يواجه الزوجين غير السعيدين من مشكلات (فيولا البيلاوى ، ١٩٨٧) . ومن ناحية أخرى قد يكون للخلافات الزوجية جوانب إيجابية حيث تعمل على إثراء وإنماء

العلاقة الزوجية ، فالزواج الحقيقي ليس الزواج الخالي من الخلافات ولكنه الزواج الذى يمكن أن يتخطى الصعوبات ويتخذ من الخلافات مادة متنوعة لاختبار مدى قدرة الزوجين على الحل وتدريبهما على تخطيها (Landis, 1979) ، وتعتبر المشكلات الزوجية ضرورية لتقريب وجهات النظر بين الزوجين واكتمال نموها فى التغلب على هذه المشكلات والرجوع مرة أخرى إلى بر الأمان والحب المتدفق بينهما (صلاح مخيمر ، ١٩٧٩) .

بعض المتغيرات المرتبطة بالخلافات الزوجية :

رأى عديد من الباحثين أن الخلافات بل وحالات الطلاق التى قد تظهر بين الزوجين خاصة خلال المرحلة الأولى من الحياة الزوجية ترتبط بمتغيرى السن عند الزواج وميلاد الأطفال ، وفيما يلى نعرض لهذين العاملين :

(١) السن عند الزواج :

يرتبط الطلاق ارتباطاً شديداً بسن الزوجين عند الزواج حيث يتعرض الذين يتزوجون فى سن المراهقة أو فى سن متأخرة إلى الطلاق أكثر من الذين يتزوجون فى العشرينات من عمرهم (Moor & Waite 1981, Glenn & Supancic, 1984, and Booth & Edwards, 1985) . ويتضح ذلك فيما يلى :

أ- الزواج المبكر Early Marriage

إقدام بعض الأفراد على الزواج المبكر فى سن لا تؤهلهم لتحمل مسئوليات أو تبعات الحياة ؛ لأنهم ليسوا بالنضج الكافى لتحملهم القيام بالدور الزوجى كل ذلك يؤثر على نمط الاستقرار الناتج عن الفشل فى أداء الأدوار فيحدث انفصال وبالتالي تتقوض دعائم هذه الأسرة (تحية عبد العال ، ١٩٩٥) .

كما أن نقص الإعداد للدور الزوجى يقلل من كفاءة الفرد فى ممارسة أدواره ، ولما كان المتزوجون فى سن صغيرة (المراهقة) يتاح لهم وقت أقل لتعلم المهارات الضرورية لممارسة الدور الزوجى بشكل مناسب ، فذلك يجعلنا نتوقع أن طبيعة أدائهم لهذا الدور ستكون أقل كفاءة من المتزوجين عند سن أكبر ، فالأفراد الذين يتزوجون فى سن المراهقة غير مُعَدِّين إعداداً جيداً لأداء أدوارهم الزوجية بنفس

مهارة المتزوجين في العشرينات من عمرهم، ومن ناحية أخرى تكون فترة التعارف بالشريك التي تتاح للمتزوجين الصغار أقصر من الذين يتزوجون في سن أكبر . (Bahr et al, 1983) .

ومن العوامل التي تسمح بحدوث الطلاق بين المتزوجين في سن مبكرة بالإضافة إلى عدم الكفاءة في ممارسة الأدوار الزوجية - وجود فرصة للزواج للمرة الثانية لأن الفرصة تكون أعلى لمن هم تحت سن ٢٥ سنة ، وهناك عامل آخر وهو عدم تدعيم والدي الزوجين لاستمرار العلاقة الزوجية ، فالزواج في سن المراهقة عادة يتم دون موافقة الوالدين ، وفي هذه الحالات يحدث خلل في التفاعل بين الوالدين أو الأقارب وبين الزوجين ، أو لا يحدث تفاعل على الإطلاق .

وقد يكون الأصدقاء مصدرًا فعالاً للضغط على الزوجين إلى مزيد من عدم الاتزان وكأنهم عامل يبعد الزوجين عن بعضهما ، خاصة إذا كان الزوج والزوجة لا يشاركونهم (Booth et al, 1985) .

ب- الزواج المتأخر Late Marriage

تختلف توقعات الأدوار - بطريقة أو بأخرى - بين المتزوجين لأول مرة في سن متقدمة ، وهذه التوقعات أقل استعدادًا للتغيير؛ ومن ثم يزيد احتمال حدوث عدم الاتزان الزوجي وهو مصطلح يشير إلى الزواج الذي تكرر فيه حدوث الطلاق والتي يتسم بعدم رضا الزوجين عن علاقتهما .

أما بالنسبة لفرصة الزواج للمرة الثانية فتكون أقل بين أفراد هذه الفئة ، ورغم ذلك فإن شعورهم بضرورة الاستمرار في الزواج يكون قليلاً لأنهم - بعد سنوات عديدة من عدم الزواج - يشعرون بالثقة في إمكانية التأقلم انفعاليًا وماليًا مع الطلاق .

ومن ناحية أخرى ، فإن من يتزوج في سن متأخرة يكون قد كون علاقات قوية بوالديه يهددها هذا الزواج ، ومن ثم نجد الوالدين يستهجنان الزواج ويطالبان بالولاء بطريقة تضعف من العلاقة الزوجية ، وقد يجد الأصدقاء العزبان أن هذا الزواج مهدد لهذا الرباط مما يؤدي إلى إضعاف العلاقة الزوجية وإلى عدم اتزانها . (Booth et al, 1985) .

(٢) الأطفال

أ- ميلاد الطفل الأول:

يمكن أن نتناول ميلاد الطفل الأول من جانبين أولهما : تأثير ميلاد الطفل على الزوجين وعلى العلاقة فيما بينهما ، وثانيهما : تأثير حالة الولادة على الأم من الناحية النفسية، وبالتالي على العلاقة الزوجية ، وبالنسبة للجانب الأول يعتبر ميلاد طفل جديد هو تغير في حياة الأسرة ومع فترة التغييرات والأحداث الضاغطة مثل ميلاد طفل جديد يتكرر حدوث المشكلات الزوجية (Halford, 1998) ، فهناك صراع وأزمة حتمية تحدث مع ميلاد الطفل الأول حيث تتغير أدوار الزوجين وتتعدل وظائفهما وتظهر قيم جديدة ويحصل كل منهما على حاجاته بطرق جديدة (Strean, 1985) ، فبعد ميلاد الطفل الأول تتغير نظرة كل من الزوجين لذاته وللحياة وتتغير الأدوار والأفكار المتعلقة بالدور الوالدي ويقبل إحساس الوالدين بالحب والرضا الزوجي ، وتقل الأنشطة المشتركة بينهما وتقل التفاعلات الإيجابية.

وبرغم أن الأزواج والزوجات الذين ليس لديهم أطفال خلال أول عامين من الزواج كانوا أكثر سعادة إلا أن وجود الأطفال يعد عاملاً يحمي من الطلاق (Cowan & Cowan, 1990, Mac Dermid et al, 1990) ومع وجود الطفل الأول يشعر عدد كبير من الأزواج والزوجات (يصل إلى ٢٠٪) بأزمة « عميقة » أو « شديدة » في التوافق مع الطفل الأول وهذه الأزمة ليست لأنهم لا يرغبون في الأطفال ، بل قد ترجع إلى الإعداد البسيط لدور «الأبوة» و «الأمومة» . (Strean, 1985 and Cowan & Cowan, 1990)

إلا أن هذه الدراسات السابقة ورغم حداثةا تجاهلت ما توصل إليه هوفمان ومانيز فعلى النقيض من ذلك للطفل الأول تأثير إيجابي على الزوجين فوجوده يشعرهما بالتحول من الطفولة إلى الرشد ويصبح لديهما مسؤوليات تجاه الآخرين - ربما لأول مرة ، والطفل يجعل الزوجين أكثر قرباً من بعضهما حيث يجدان أنشطة مشتركة فيعملان على توفير راحة الطفل فنجد اعتمادية متبادلة وهدف

واحد ، فمن ميزات وجود الطفل أنه يقوى العلاقة بين الزوجين (Hoffman & Manis, 1978) .

أما بالنسبة للجانب الثانى والمتعلق بالتأثير النفسى للولادة على الأم فقد يظهر عند الأم فيما يعرف بذهان ما بعد الولادة Post - Partum Psychosis وهو عبارة عن متلازمة إكلينيكية أى مجموعة أعراض تحدث بعد الولادة وتتميز بضلالات واكتئاب شديد مع أفكار لإيذاء الوليد أو النفس ، ويحدث هذا الذهان فى (١-٢) من كل ألف من الولادات ، وتشير الدراسات السيكودينامية إلى دور المشاعر وصراع الأم حول خبرات الأمومة ، خاصة إذا كان الزواج تعسفاً ، فلقد لوحظ أن الشقاق الزوجى يرتبط بزيادة حدوث المرض لوحظ أنه فى الحالات النادرة من ذهان ما بعد الولادة التى تحدث يشعر الأب (الزوج) بأنه نُحى جانباً مع وجود الطفل (محمود حمودة ، ١٩٩١) .

ومن الاضطرابات النفسية التى قد تصيب الأم بعد الولادة أيضاً ((اكتئاب ما بعد الولادة Post-partum Depression)) الذى يعتبر أكثر شيوعاً وتقدر نسبة حدوثه بحوالى ٢٠٪ ، وعلى أى حال لا تكتشف كثير من الحالات لأن الأم تحجل من إظهار مظاهر الاكتئاب أثناء فترة ما بعد الولادة التى من المفترض أنها فترة مفرحة ، وهذا الاضطراب أكثر شيوعاً بعد الولادة الأولى حيث تكون الأم غير قادرة على التأقلم مع متطلبات رعاية الطفل وتصبح منسحبة وغير مستجيبة لحاجات رضيعها ويندر احتمال حدوث انتحار ، إلا أن الرضيع عرضة لمعاملة غير مناسبة ، ومن العوامل المسببة لهذا الاضطراب وجود تاريخ شخصى أو أسرى للاكتئاب والضغط النفسى والثنائية الوجدانية تجاه الحمل .

ومن الاضطرابات شائعة الحدوث كآبة ما بعد الولادة Post-partum Blues التى تتميز بتأرجح الحالة المزاجية وتصل نسبة حدوث المتلازمة إلى ٥٠٪ دون أسباب مرتبطة بالاضطرابات النفسية الرئيسية (Prathikanti, 1999) .

ب- عدد الأطفال:

يلعب الأطفال دوراً هاماً فى حياة الأسرة فيعملون على تقوية العلاقة الزوجية أو يؤثرون بالسلب على الرضا الزوجى وإذا كان وجود الأطفال فى حد ذاته

يؤدي إلى انخفاض مستوى الرضا الزوجي للزوجين كما أشار لي (Lee, ١٩٨٨) فإن عدد الأطفال أيضاً له تأثير . فعدد الأطفال يتناسب عكسياً مع الرضا الزوجي ، وقد يرجع عدم الرضا إلى اهتمام الزوجة الزائد بالأطفال بحيث تنسى واجبها نحو زوجها (وفاء مسعود ، ٢٠٠٠) ، كما أن ميلاد طفلين أو ثلاثة بعد الزواج بفترة قصيرة يؤدي إلى تغير سالب في دور الأب والأم ولكن زيادة عدد الأطفال في الأسرة يقلل معه نسبة الطلاق (هنيات قطب ، ١٩٨٦) وعامة فإن وجود الأطفال يؤثر على كل من التفاعل بين الزوجين والسعادة الزوجية ويقل تأثيرهم بمرور الزمن مع التوافق مع وظائف الأبوة والأمومة (Zuo, ١٩٩٢) .

ج - السن عند الإنجاب :

قد يرتبط متغير السن عند الإنجاب بالمشكلات الزوجية ، فالآباء والأمهات الصغار هم أكثر انضغاطاً وقلقاً من الآباء والأمهات في أى مرحلة من مراحل الأسرة ، فيزداد عدم الاتفاق فيما بينهما فيما يتعلق بالمال ويكونون أقل في التفاهم المتبادل (Hoffman & Manis, ١٩٧٨) ويرجع ذلك إلى سن الزوجين عند الإنجاب.

أسباب الخلافات الزوجية :

أظهرت دراسة الخلافات الزوجية وجود أربعة اتجاهات مختلفة ، بحيث يرى كل اتجاه أن متغيراته هي المؤدية أو المسببة للخلاف بين الزوجين ، فيركز الاتجاه الأول على عوامل الشخصية ، والثاني على الاعتمادية المتبادلة بين الزوجين والثالث يؤكد على المتغيرات الثقافية ، ويؤكد الرابع على التواصل (Kurdek, ١٩٩٣) .

وسوف تتناول الكاتبة فيما يلي الاتجاهات الأربعة ، ثم تتناول فكرة استمرار الزواج رغم الصراع .

أولاً : عوامل شخصية :

تتأثر العلاقة الزوجية بشخصية كل من الزوج والزوجة سواء في تدعيم التوافق الزواجي أو في خلق نوع من الصراع والتوتر الذي يهدد العلاقة ، كما تتأثر

بدرجة اختلافهما الانفعالي أمام المواقف والأحداث التي تمر عليهما ، وبدرجة الإحساس بالقلق وعدم القابلية للتكيف مع المتطلبات الجديدة للحياة الزوجية (إجلال إسماعيل ، ١٩٨٧) ، فنجد أن النضج الانفعالي مثلاً يرتبط ارتباطاً إيجابياً بالتوافق الزوجي وأن التوافق الزوجي مصدر هام للتوافق الانفعالي ، ويتكون النضج الانفعالي من مكونات مستقلة أهمها : القدرة على التعامل مع ضغوط الحياة ، والقدرة على التعامل مع الغضب ، والعلاقات الصحية مع السلطة ، وضبط الذات ، والنضج العقلي ، والمسئولية ، وعدم التمرکز حول الذات وعدم التمرکز المجتمعي والتواصل ، والأمن الاجتماعي ، والتوازن الاجتماعي (Cole, Rogers & Calder, 1990).

ويمكن القول: إن الخصائص الإيجابية للشخصية تسر تكوين وتطوير واستمرار علاقات شخصية واسعة (Long & Andrews, 1990) . والعكس صحيح، فقد توصل الباحثون مثلاً إلى خمسة أبعاد رئيسية في الشخصية تنبأ بالاتزان الزوجي من عدمه ، وهذه الأبعاد قطبية ولها مسميات مختلفة لكنها تعرف بما يلي : (١) (السيطرة والانبساط في مقابل الخضوع والانطواء) (٢) (القبول (الهدوء والثقة في مقابل البرود والشك) (٣) (الضمير الحي (الثبات والتنظيم الجيد في مقابل الفرد لا يعتمد عليه وغير منظم) (٤) (الاتزان الانفعالي (الأمن والهدوء في مقابل العصبية وتقلب المزاج) (٥) (الذكاء أو الانفتاح (وجود رؤية وفضول في مقابل عدم التأكد واللامبالاة) . (Buss, 1991 and Kurdek, 1993) . وبفحص دور كل من هذه الأبعاد الخمسة تؤثر في استدعاء الإحباط لدى الزوجين من خلال الضغط على الآخر (مثل معاملة الزوج على أنه غبي أو ناقص) والتملك (المطالبة بوقت واهتمام كبير جداً) والإساءة (صنع الطرف الآخر) وعد الإخلاص (إقامة علاقات جنسية خارج الزواج) والمزاج الاكتئابى (كثرة البكاء) والإفراط في شرب الخمر وعدم إظهار العواطف أو التصرف بخشونة والتمرکز حول الذات (التصرف بأنانية) (Buss, 1991) .

ومن ناحية أخرى يعتبر التكامل بين شخصية الزوجين ضروريا لاستمرار

التوافق بينهما ويبدأ التكامل منذ اختيار شريك الحياة حيث يبحث كل فرد عند اختياره لشريك حياته عن الفرد الذى يعطيه أو يمدّه بأعلى نسبة من الإشباع ، بمعنى أن الفرد يبحث عن الشريك الذى يكمل شخصيته . فالرغبة فى التكامل تعد دافعاً قوياً للزواج ، وفى هذه الحالة يكون نمط الحاجات لدى المتزوجين دائماً غير متشابه . وهذا يعنى أيضاً أن اختيار شريك الحياة يتم وفقاً لمبدأ إشباع الحاجات الذى يعنى أن الأفراد يميلون إلى اختيار الأشخاص الذين يشبعون حاجاتهم الشخصية بأكبر قدر ممكن ، فيكون نموذج كل من الشريكين مكملاً أكثر منه مشابهاً لنموذج الحاجات لدى الطرف الآخر (Wolman, 1973) .

ثانياً: الاعتمادية المتبادلة :

تؤكد مفاهيم هذا الاتجاه على أن الصراع يحدث بين الزوجين حينما يعتمد كل زوج على الآخر فى حل أى مشكلة تقابلهما ، ويرى أن مشكلات الزوجين ترجع إلى هذه الاعتمادية المتبادلة التى هى فى حاجة إلى حل ، فالمتوافقون زواجياً يعتمدون على قدراتهم على حل المشكلات أو يتفقدون على معايير محددة للوصول للحل الذى يزيد من الإثابة ويقلل الخسارة للزوجين . بينما يحدث الصراع عند الوصول إلى حلول غير مشبعة للطرفين ، وعند فشل إستراتيجيات حل المشكلات والتى ترجع إلى الاعتمادية المتبادلة بين الزوجين .

كما قد ترجع بعض مشكلات الزوجين إلى وجود اختلافات وتناقضات بينهما وأنهما - فى نفس الوقت - ليسا على وعى كاف بتوقعات بعضهما ، ويحدث الصراع عند مناقشة موضوعات دون معرفة فعلية بأصل موضوعات الصراع ، ومن ثم يصبح كل طرف غير قادر على توصيل رأيه للآخر ، وبالتالي فإن الأسس المهمة لاضطراب التواصل وحدوث الصراع يقع فى هذه الساحة المعرفية الإدراكية للزوجين . (Dhir & Markman, 1984) .

وحتى يقل الصراع لا بد من تقليل مستوى الاعتمادية فى العلاقة الزوجية ولا بد من محاولات فعلية من الطرفين للإبقاء على العلاقة الزوجية ، حتى تحقق تلك العلاقة الاحتياجات من رضا وإخلاص وتقارب ومساندة حقيقية ، (Kurdek, 1993) .

ثالثاً: المتغيرات الثقافية:

يركز هذا الاتجاه على العوامل الثقافية والديموجرافية كالسن والتعليم والدخل والمستوى الاجتماعي وطول فترة الزواج، بالإضافة إلى العلاقات الماضية والحالية وكذلك وجود أطفال لدى أحد الزوجين (Kitson & Sussman, 1982 and Kurdek, 1993). وبذلك تتأثر العلاقة الزوجية بخبرات الزوجين السابقة وبالتراث الثقافي والروحي لكل منهما، فكثيراً ما يختلف الزوج والزوجة في عاداتهما وأخلاقهما واتجاهاتهما والقيم التي تسود حياتهما وكافة الأشياء التي اكتسبها كل منهما خلال حياته المبكرة مما يؤدي إلى نشأة الخلاف والنزاع بينهما، كأن يكون أحد الزوجين من طبقة اجتماعية منخفضة أو مرتفعة عن الآخر، أو يكون أحدهما متديناً والآخر غير متدين، كما تتأثر العلاقة بينهما بدرجة التعليم (إجلال إسماعيل، ١٩٨٧).

فمن السهل عادة أن يتوافق الفرد مع شخص ينتمي إلى نفس الخلفية الاجتماعية والأسرية والثقافية؛ لذا يعتبر التشابه والتماثل في تلك الخلفية مؤشراً يتنبأ بنجاح الزواج، فالزواج من فرد مختلف من حيث الطبقة الاجتماعية أو الديانة أو من أسر بها طلاق أو خلافات قد يواجه مخاطرة أكبر بحيث يمكن التنبؤ بمولد صراع في علاقة زوجية تجمع بين شخص ينتمي إلى بيئة ريفية تحكمها القيم الدينية والاتجاهات المحافظة وشخص ينتمي إلى بيئة حضرية تحكمها أفكار متحررة وعادات وآراء طليقة (محمود حسن، ١٩٨١ - Atwater, 1985). فكلما تقارب المستوى الاجتماعي الاقتصادي للزوجين أدى ذلك إلى مزيد من الإيجابية في الرضا الزوجي، كذلك كلما تقاربت خصائص الشخصية مثل العمر والمستوى التعليمي زاد معدل الرضا الزوجي. (Rhyne, 1981).

على النقيض من ذلك وفي دراسة اعتمدت على بيانات من سبعة مسوحات قومية أمريكية تبين أن أقوى المتغيرات ارتباطاً بالتفكك الزوجي هي السن عند الزواج والتردد على الأماكن الدينية، بينما كانت ارتباطات المتغيرات الاجتماعية-الاقتصادية ضعيفة (Glenn & Sypanic, 1984)، مما يشير إلى أن الارتباط الإحصائي بين عوامل الخلفية الأسرية والنجاح في الزواج ليس مطلقاً، فقد

فشلت حالات زوجية رغم أن كل الأمور كانت مهيأة للزوجين ، ويبدو أن هناك عوامل أخرى ذات تأثير أهم وأكبر من هذه الاختلافات منها التوافق الشخصى للزوجين معاً ، والدوافع لجعل الزواج ناجحاً ومدى الاتفاق على الأدوار (Atwater, 1985) ، ففي حين أن هناك دراسات توصلت إلى أن الصراع بين الزوجين قد ينشأ بسبب قصور الموارد الاقتصادية عن سد احتياجات الأسرة كدراسة وفاء مسعود (٢٠٠٠) ، إلا أن هناك رأياً آخر يرى أن الدخل لا يرتبط بالتوافق الزوجى ولكن إدراك تعامل الزوجين مع الخلافات التى تظهر فيما بينهما. (Heaton & 1991 Albrecht) ومن ناحية أخرى يبدو أن عدم الرضا عن الجوانب المالية موجود لدى المتوافقين وغير المتوافقين والاختلاف بينهما فى كم عدم الرضا وإن كان غير دال إحصائياً (داليا مؤمن ، ٢٠٠٠) .

رابعاً: اتجاه التواصل:

يلعب التواصل دوراً هاماً فى إحداث الصراع بين الزوجين ويعمل على استمراره أو توقفه ، وترى الكاتبة أنه يمكن اعتبار الصراع الزوجى شكلاً من أشكال اضطراب عملية التواصل فى حد ذاتها .

يظهر الخلاف بين الزوجين عندما يرفض أحد الزوجين التغيير بناء على طلب الطرف الآخر. وفى بداية ((طلب)) تغيير السلوك تحدث بين الزوجين ((مناقشة تتسم بعدم الاتفاق)) ، ولا يؤدي هذا الطلب إلى نتيجة فتصبح الخطوة التالية مرتبطة بشيء مزعج مما يؤثر بشدة على المحاولات الجانبية لحل المشكلات . وبهذه الطريقة يتشاجر الزوجان بشكل متكرر دون الانتباه للسلوك الذى أدى لأول ((مناقشة)) ، وبرغم أنه لدى الأزواج والزوجات ذوى المشاكل - فى العادة - مهارات طبيعية لحل المشاكل عندما يتفاعلون مع أشخاص غرباء من الجنس الآخر، إلا أن الاستشارة المزعجة بين الزوجين تتداخل مع حل المشكلة لإحداث تغيير السلوك وتؤدي هذه التفاعلات بالزوجين إلى قضاء وقت أقل فى التفاعل بما فيه من كلام وجنس ومشاركة فى الأنشطة . فهذا الاتجاه يهتم ويؤكد على مهارات حل المشكلات والخلافات (Patterson et al, 1975 and Kurdek, 1993) .

استمرار الزواج رغم الخلافات :

فى بعض الأحيان تستمر العلاقة الزوجية رغم الشكوى المستمرة من طرفى العلاقة أو أحدهما، ويوجد اتجاهان حاولا تفسير استمرار الزواج برغم عدم الرضا عنه . يعتمد الأول على نظرية التحليل النفسى ، فى حين يعتمد الثانى على نظرية التبادل .

أولاً: اتجاه التحليل النفسى :

يستخدم مصطلح التوازن Homeostasis فى النظرية السيكودينامية للإشارة إلى استمرارية التوازن فى النظام النفسى الداخلى ، بينما يستخدمه المنظرون فى مجال الأسرة كمصطلح يوضح استمرارية التوازن داخل الأسرة والتي تحافظ على توازن محدد قائم ، أو يؤكد على وجود بيئة أسرية ثابتة ثباتاً نسبياً ، وحينما يهدد كيان التوازن الأسرى بأى طريقة ، تقوم الأسرة فى العادة بمحاولات منظمة لإعادة هذا التوازن ، وعادة ما يشارك كل أفراد الأسرة فى هذه العملية (Gerson & Brasky 1979) ، فالعلاقة الزوجية تتضمن نوعاً من التوازن حيث يلعب نوع العلاقة بين الزوجين دوراً مركباً فى زيادة أو نقصان المشاكل والخلافات النفسية لدى كل منهما (صالح حزين ، ١٩٩٥) .

وقد يظهر هذا الاتزان فى تقسيم السلطة ، وعادة ما يقسم المتزوجون السلطة بطرق مختلفة، فنجد الزوجة مثلاً تتخذ كل القرارات داخل المنزل والقرارات المتعلقة بالأطفال ، بينما يتخذ الزوج كل القرارات المتعلقة بالسياق الاجتماعى خارج الأسرة - وأحياناً ما يتم التقسيم القوة بشكل لا يرضى الزوجين ولا يصلان إلى أى طريقة مرضية للتوازن (Madanes, 1981) .

ومن الممكن أن يظهر هذا التوازن فى جوانب أخرى فنجد أحد الزوجين يمثل أنا أعلى للطرف الآخر أو يمثل صورة ذات منخفضة ، أو يكون كأنا مثالى له ، وغير ذلك من العلاقات منها ما يلي :

أ - شريك الحياة الذى يمثل صورة ذات منخفضة القيمة :

أثناء عملية النمو لا يكون كثير من الناس صورة ذات متزنة وإيجابية ، فقد لا

يحب الفرد نفسه ويكره دفاعاته الغريزية ويشعر بضيق من دفاعاته غير التوافقية . ويكون من الأسهل إسقاط غير المقبول في الذات على شخص آخر ، ويمكن أن يكون ((الشخص الآخر)) المناب هو الزوج / الزوجة . وعندما يسقط الزوج كل ما يكرهه في نفسه على زوجته يحصل على قدر كبير من الحماية والإشباع . ويشعر أن عدم سعادته ترجع لشيء خارجي بدلاً من شيء داخلي . وبدلاً من الإحساس بتقدير ذات منخفض يشعر بقوة وسلطة في احتقار لزوجته ، ويمكنه تجنب مواجهة مشكلاته العصابية بأن يطلق على زوجته أنها غبية وعملة وغير مثيرة جنسياً .

ب- شريك الحياة كانا مثالي :

يميل كثير من الناس عند اختيارهم لشريك حياتهم إلى إسقاط نرجسيتهم المفقودة على الشريك المنتظر فيسقطون كل القوة التي يريدون امتلاكها عليه ، فإذا ما تمنى الفرد أن يكون مثالاً قوياً له قدرة جنسية عالية عالمياً بكل شيء فإنه ((يلحظ)) هذه الصفات في شخص آخر ويؤمّل هذه الصفات في بداية العلاقة الرومانسية أى يحاول أن يراها مثالية ، ويرى شريك حياته قادراً على تحقيق تخييلاته هو .

إلا أن أحداث الحياة الواقعية تؤثر على آميات الفرد غير الواقعية وكثيراً ما تفشل محاولات جعل الشريك أنا مثالياً لأسباب كثيرة :

أولها: لا يوجد من يستطيع أن يعيش هذه الصورة غير الواقعية المشوهة .

ثانيها: عندما لا يعيش الزوج المتطلبات الطفلية للزوجة فإن ذلك يجعلها تنور بشدة ، وتحدث عن تعرضها للخداع وأن زوجها ، هو فى الواقع شخص عادى ، مما يجعله يتصرف بشراسة نتيجة للإحباط ، ومن ثم يبدأ بمهاجمة شريكه حياته ، وتذكر هى أنها خدعت وأنه غرر بها ؛ ولأن الرغبة فى أن يكون للشريك قدرة مطلقة ما هو إلا تخييل يعوض الجروح الداخلية فإن هذا التخيل - حتى ولو كان مشبعاً بشكل جزئى - ليس تعويضاً لأنه لا يوجد ما يشفى الجروح الداخلية .

ج- شريك الحياة المسيطر :

فى هذا النمط من العلاقة يظهر أحد الزوجين على أنه عدوانى وسادى ومؤذ

لشريك حياته ، ويكون الطرف الآخر معتمداً وخاضعاً تماماً ، فالشخص الذى لديه حاجة عالية من السيطرة يختار شريكة حياة تقل لديها هذه الحاجة . (Sullway. & Christensen, 1983) .

إلا أن هذه النظرة للتفاعلات الزوجية تعتبر نظرة سطحية ، وعلينا أن نحفظ فى أذهاننا أن الشخص السادى (وليكن الزوج) لديه عدة رغبات سلبية واعتمادية ومازوخية لا يستطيع تغييرها ، وسلوكه السادى ما هو إلا دفاع ضد القلق الذى تخلفه رغباته السلبية - الاعتمادية . فيختار زوجة يسيطر عليها وبالتالي يسيطر أو يتحكم فى رغباته المقبولة .

والزوجة الاعتمادية عادة ما تخاف من ساديتها ورغبتها فى السيطرة وتدافع ضدّهما بأن تكون سلبية واعتمادية ، وتختار زوجاً يعزز دفاعاتها حتى تستطيع أن تقول : " أنت الشخص السادى وليس أنا " ويستطيع زوجها أن يقول: " لست أنا الشخص السلبى والضعيف ، بل أنت " .

وعندما يكون أحد الزوجين مسيطراً والآخر خاضعاً لا يستطيع أن يبقى أحدهما على هذا التوازن لمدة طويلة ، ويشعر الزوج المسيطر بالذنب بسبب ساديته ويبدأ بالخضوع، بينما تشعر الزوجة بالاستياء لخضوعها فى عدم مواقف . ويرتب على ذلك أننا حين نتحدث عن الزوجين المسيطر - الخاضع نشير إلى شخصين تعاملتا مع ساديتهم كثيراً ويشعران بالذنب نتيجة لرغباتهما من وقت لآخر . وفى أوقات مختلفة يحتاج كل طرف أن يسيطر وكذلك أن يكون سلبياً وبالتالي يتبادلان الأدوار فيما بينهما .

د- شريك الحياة العاجز:

عندما يكون الزوج عاجزاً بدرجة شديدة ويشعر أنه طفل ضعيف يريد إشباعاً فورياً من والد ذى قوة مطلقة ، وإذا كانت الزوجة لا تريحه فوراً من كل ألم سيثور ويستاء من عدم قدرتها على القيام بدور الأم الكاملة ، فزوجته التى لديها فى العادة نقص فى الثقة بالنفس وتقدير ذات منخفض عادة ما تستجيب لغضب زوجها بالاكئاب ثم اليأس .

مرة أخرى لدينا دائرة ناقصة حيث يتبادل الزوجان الأدوار وفي الحالتين تكون العلاقة غير مشبعة . وفي أى وقت يشعر أحد الطرفين أنه محكوم عليه بينما يشعر الثانى بأنه محروم ، وفي الواقع يشعر كلا الطرفين كأن كل منهما طفل ضعيف فى نهم لوالد لديه قوة مطلقة (Stearn , 1985) .

كما سبق ترى الكاتبة أن الرغبات الطفلية غير المشبعة تحتاج لأن تنفذ بشكل اجتماعى ولأن تظهر بشكل أو بآخر من خلال العلاقة الزوجية ، فنجد كل طرف يدفع الآخر لفعل معين يستفيد هو شخصياً منه ؛ لذا من غير المستبعد أن المتزوجين الذين تناولناهم بالوصف يمكن أن يتبادلوا الأدوار ، وبهذا يظهر فى نمط الراعى - العاجز ملامح الانفصال والاعتمادية ، أو يتم تبادل أدوار المسيطر - الخاضع . وحتى فى الأوقات التى يكون فيها أحد الطرفين أنا أعلى أو أنا مثالياً للطرف الآخر يمكن أن يتبادلا الأدوار . ويمكن القول: إنه لا يوجد شخص متزوج هما وحدة متفردة . ومن المهم أن نأخذ فى الاعتبار التركيب والشذوذ فى كل منهما عند تشخيص وتقييم وعلاج الخلافات الزوجية .. ومن ناحية أخرى يبدأ الصراع الزوجى إذا لم يعد الدور الذى يلعبه أحد الطرفين مشبعاً للطرف الآخر ، فإذا كان إعجاب أحد الزوجين بصفات معينة فى الطرف الآخر وكانت هذه الصفات غير حقيقية سيرهق الأول بعد فترة من تمثيلها ، ويشعر أنه مخدوع وأنه كان معجباً بصفات لم تعد موجودة وهنا يبدأ الصراع وللصراع أنماط سوية وأخرى غير سوية حلله تنضح فيما يلى :

ثانياً: اتجاه نظرية التبادل؛

تقوم نظرية التبادل على مدى تبادل المكافآت والإثابات بين الزوجين باعتبارها " المعززات " للعلاقة الزوجية . بحيث يرتبط الرضا الزوجى بزيادة ما يحققه الزواج من إثابة وتعزيز لكل من الزوجين . أما إذا كان الزواج ينطوى على كثير من عوامل الفقد أو الخسارة فإن هذه الوحدة الزوجية قد تتعرض للاضطراب أو سوء التوافق (فهد الناصر ، ١٩٩٥) وفى عصر ترتفع فيه معدلات الطلاق وبه قدر كبير من التاكيد على تحقيق الذات فإن الذين يستمرون فى علاقاتهم الزوجية من

المفترض أنهم يشعرون بالرضا عن زواجهم - ولكن في الواقع قد يستمر الفرد في علاقة زوجية غير مرضية له وذلك في حالة وجود حواجز قوية تجعل الطلاق صعباً أو حين تكون البدائل المتاحة لهذه العلاقة قليلة ، وقد حلل أصحاب نظرية التبادل طبيعة العلاقة الزوجية والاتزان الزواجي بمصطلحات المكاسب والخسائر من استمرار العلاقة الزوجية الحالية ، وبما يسبب صعوبة في التغيير وما يؤدي للانجذاب للبدائل . (Heaton & Albrecht , 1991) .

إن قرار الطلاق يتأثر بكل من الاعتبارات الاقتصادية والمعتقدات الدينية وقوانين الطلاق والأصدقاء والأقارب وكذلك الجيران ، وبالخوف من المجهول ، وبناء على وجهة النظر هذه يمكن رؤية العوامل المسببة لاستمرار الزواج رغم الخلافات كالتالي :

(١) دورة حياة الأسرة:

تتغير العلاقات والأدوار الزوجية على مر دورة الحياة ، ومع تقدم العمر تقل الجاذبية الجسمية للإنسان وتقل إمكانياته الكامنة مما يقلل من فرصة وجود بديل لهذه العلاقة الزوجية ، ومن ناحية أخرى كلما زاد طول الفترة التي يقضيها الزوجان معاً تراكمت الخبرة المشتركة بينهما ، وقد تعتبر هذه الخبرة والألفة - على المدى الطويل - حاجزاً يعوق الطلاق حتى إذا كانت هذه الخبرات ليست دائماً إيجابية .

ويضيف الأطفال بعداً هاماً للزواج تبعاً لعدددهم وعمرهم وجنسهم، فالقيام بدور الأبوة والأمومة والعطاء للأطفال يصبح أصعب إذا ما انتهى الزواج . كما أن الرجال أقل حفاظاً على الرابطة الزوجية في حالة غياب الأطفال بينما يحتفظون بهذه الرابطة بزيادة عدد الأطفال .

يقلل وجود الأطفال في المنزل من فرصة الزواج للمرة الثانية حتى إذا كان الزوجان غير سعيدين؛ وذلك لأن الروابط العاطفية قد تكون قوية بين الوالدين والأطفال . كما تستمر العلاقة حين يكون الأطفال صغاراً . وقد ترتبط مخاطر الطلاق بدرجة أكبر بسن الطفل الأول . (هنيات قطب ، ١٩٨٦ ، Heaton & Albrecht , 1991) .

(٢) الحالة الاقتصادية - الاجتماعية :

ليس للحالة الاقتصادية - الاجتماعية نفس أهمية عوامل أخرى تفسر انتهاء العلاقة الزوجية ، ولكنها قد تسهم في استمرار العلاقة حتى إن كانت الروابط العاطفية بين الزوجين ضعيفة . وحينما تكون مصادر الدخل مشتركة بين الزوجين فإن الذين تقل مصادر دخلهم الفردية يقون على استمرار زواجهم ، فالزوجات ذوات الدخل المنخفض اللاتي ليس لديهن عمل وتعليمهن أقل من التوسط لديهن بدائل أقل للعلاقة الزوجية ، وذلك لسببين: الأول: أن رسائل الدعم الاقتصادي محدودة، والثاني: أن الحالة الاقتصادية الاجتماعية المنخفضة تقلل الأمل في الزواج مرة أخرى . ومن ثم ترتبط المصادر الاقتصادية الفردية ارتباطاً سالباً بالإبقاء على زواج مشبع .

أما بالنسبة لعمل الزوجة فإنه يؤثر على الزواج حين يقلل من الوقت اللازم للقيام بالأدوار الأسرية الأنثوية التقليدية ، وقد يقلل الدخل الكبير للزوجة من حافز الاستمرار في علاقة غير سعيدة، كما يؤدي الإنجاز المهني والتعليمي إلى إعادة تقييم هذه العلاقة .

(٣) الخبرات السابقة :

يمثل البحث عن حياة العزوبية بعد الزواج تهديداً للذين يخططون لقضاء حياتهم متزوجين . فالقلق والخوف مما سيحدث بعد الطلاق قد يحمي الزوجين من ترك العلاقة غير السعيدة . كما أن الخبرة السابقة بانتهاء العلاقة الزوجية ، سواء في منزل الوالدين أو في زواج سابق قد تزيد من فرص الطلاق .

(٤) الاتصال الاجتماعي :

قد تكون بدائل العلاقة الزوجية الحالية محدودة نتيجة قلة إقامة علاقات اجتماعية خارج الأسرة ، وقد يصبح أصدقاء العمل في كثير من الأحيان عائناً ضد الطلاق كما قد يصبحون مصدراً للدعم في كثير من الأحيان عائناً ضد الطلاق كما قد يصبحون مصدراً للدعم الاجتماعي في حالة الطلاق ، ويمكن أن

يكونوا مصدراً لعلاقات رومانسية مختلفة . والمتزوجون الذين لديهم مصادر كامنة للتدعيم والذين حصلوا على تدعيم بالفعل ، والذين لديهم حياة اجتماعية ثرية قد يكونون أكثر انجذاباً للتغيير وأقل اضطراباً للبقاء في علاقة زوجية غير سعيدة .

(٥) القدرة على الضبط :

لدى بعض الأفراد قدرة أكبر على التحكم في سلوكهم وضبطه ، أما الذين لديهم نقص في الإحساس بالضبط فيشعرون أنهم دخلوا مصيدة علاقة غير سعيدة ولكنهم لا يستطيعون فعل أى شىء فيما يتعلق بذلك ، فلا يستطيعون أخذ خطوات نحو إنهاء العلاقة والتعامل مع النتائج المترتبة عليها ، فالذين لديهم قدرة على الضبط يميلون أكثر من غيرهم لإنهاء العلاقة الزوجية المضطربة .

(٦) النتائج المترتبة على الطلاق :

تبعاً لنظرية التبادل يبقى الفرد في علاقة زوجية سعيدة نتيجة الإحساس بأن الحياة أسوأ إذا انتهى الزواج . ويمكن القيام باختيار مباشر بالسؤال : هل ستوجد جوانب أفضل إذا ما أنهى المتزوجون زواجهم ؟

وبمصطلحات اقتصادية فإن هذه النتائج هي تقييم مدى منفعة الزواج الحالي . ومن المفترض أن الأفراد يستمرون في علاقة زوجية غير سعيدة إذا كان إدراكهم أن النتائج المترتبة على الطلاق سلبية .

(٧) الجنس :

يتضمن الزواج أشياء مختلفة بالنسبة لكل من الأزواج والزوجات ، فمن ناحية يجلب الأزواج نقوداً أكثر وتقوم الزوجات بأعمال منزلية أكثر ، ومن ناحية ثانية نجد أن فكرة الزواج للمرة الثانية أقل عند النساء ، فالسيدات المطلقات - خاصة بعد فترة طويلة من الزواج - يعانين من مشكلات مالية أكبر ، وكذلك يشعرن بالقلق والوحدة ويقل اندماجهن في علاقات " بين شخصية " . وإذا كانت للمرأة بدائل قليلة للعلاقة الزوجية الحالية وتكاليف أكثر نتيجة للطلاق ، فإنها تميل للإبقاء على الزواج غير السعيد وهكذا يتضح أن عوائق الحصول على الطلاق تختلف بالنسبة للذكور والإناث . (Heaton & Albrecht , 1991) .

من كل هذا يمكن القول: إن كل هذه العوامل تساعد على استمرار العلاقة الزوجية حتى مع وجود المشاكل والخلافات .. ولكن يبدو أن هناك اتجاهاً آخر يهتم بالجوانب الدينامية فى العلاقة الزوجية ، ويرى أن فى استمرار العلاقة الزوجية إشباعاً لطرفى تلك العلاقة ، فكل من الزوجين يكمل الآخر ، وقد يكون هذا التكميل بشكل سوى أو بشكل مرضى .

أساليب حل الخلافات :

هناك أسلوبان عامان فى تناول الصراع يمكن أن يتبناها الزوجان وهما:

- ١- المشاركة فى الحوار : وفيه يتم التغلب على الفروق بينهما بأساليب متعددة.
- ٢- تجنب ذلك الصراع : وفيه ينكران الصراع . والفيصل فى الزواج ليس أن يخبر الخلافات ولمن كيف يتناولان تلك الخلافات (Atwater , 1985) ، من يستخدم الأسلوب الأول لحل الخلافات فإنه قد يلجأ إلى واحد على الأقل من الأساليب التالية :

(١) التفاوض:

يعد التفاوض أهم طرق حل الصراع " والتفاوض الاجتماعى يمارسه كل فرد منذ ولادته بشكل غريزى للحصول على احتياجاته ، ويبدأ بأن يتعلم الطفل الصراخ لياخذ طعامه أو يعبر عن آلامه . ويتطور ذلك من خلال استخدامه للابتسامة والكلمة والقوة الجسدية فى علاقاته مع أفراد الأسرة والمجتمع . ويتقدم شكل التفاوض عندما يتقدم الفرد فى العمر ، فمثلاً هناك التفاوض عند الزواج أو حل الخلافات الزوجية ، والعلاقة مع الزملاء والجيران والأقارب .

أما بالنسبة لوسائل الاتصال التفاوضى فهى إما مباشرة أو غير مباشرة :

" ووسائل الاتصال المباشرة فى العملية التفاوضية هى طريقة الاتصال الكلامية المكتوبة أو الشفهية التى يترتب عليها تفاهم حول موضوع معين . وتوضح وسائل غير مباشرة ، فى أن كل عملية اتصال يترتب عليها فهم إحساسات وشعور الأشخاص المفاوضين دون الحاجة أن يكون هناك تبادل كلام محرراً أو شفهاً بينهم " .

وتشمل وسائل الاتصال التفاوضى ما يلى:

أولاً: الاتصال اللفظى : وهو الاتصال عن طريق الكلمة والجمله .

ثانياً: الاتصال غير اللفظى : ويتضمن

الاتصال البصرى فمثلاً:

النظرة الغاضبة: تعنى الرفض .

النظرة الضاحكة: تعنى الموافقة الضمنية ولا يكثرث لها.

النظرة الباسمة: غالباً ما تعنى السخرية الضمنية على الموضوع.

الاتصال الحركى:

جسمك يميل للأمام: إنصات جيد.

جسمك يميل للخلف: لا تبالى ولا تهتم.

يدك على رأسك من الجانبين: ثرثار وحديثه يسبب الصداع.

يدك خلف رأسك: أنا أفضل منك.

قضم الأظافر: قلق وعصية.

ينظر بدون تركيز ولا يتحدث: شارد أو سرحان .

ينظر بتركيز: ينصت جيداً . (محمد هلال ، ١٩٩٧) .

وترى الكاتبة أن ما سبق مجرد أمثلة لوسائل الاتصال كما قد يكون لكل وسيلة معان أخرى غير المذكورة - تبعاً لحدوثها فى السياق - كما يختلف تبعاً لإدراك الطرف الآخر له .

(٢) الاستماع الفعال:

إن النمط الثانى السوى لحل الخلافات هو الاستماع الفعال ويعد طريقة مفيدة للوصول إلى التفاهم بين الزوجين أثناء الحوار فيما بينهما ، ويطلق عليه تبادل أدوار المستمع - المتحدث . ويتضح فى الجلسة العلاجية من المثال التالى : إذا بدأت الزوجة بالحدث وكان الزوج هو المستمع واشتكت الزوجة من شعورها بالضيق

من علاقة الزوج بابنهما الأصغر من تجاهل ونقد ، ويطلب المعالج منه أن يذكر ما قالته بمعنى آخر ليسهل فهمها دون دفاعية أو حكم لكل من محتوى ومشاعر الرسالة وأن يتأكد من فهمه ، يصدق ويتعاطف مع مشاعرها ، فإذا قام بذلك كان استماعه لزوجته جيداً وفعالاً .

(٣) المناقشة :

إذا تصرف أحد الزوجين بطريقة لا تسر الآخر ، وقررا الدخول في مناقشة، من المهم أن يدخلوا في عملية إيجابية من الصدق المتبادل حتى تصبح وجهة نظر كل منهما ظاهرة مفهومة وقد يصلان إلى التصرف بطريقة مختلفة في المستقبل .
(Christensen & Heavey , 1990) .

(٤) أخذ وجهة نظر الآخر في الاعتبار:

يرتبط وضع نظر الآخر في الاعتبار والذي يعرف بأنه ميل متصور لوضع الذات في مكان الشخص الآخر - إيجابياً برضا الآخر عن العلاقة ، والعكس صحيح . ومن ثم وضع وجهة نظر الآخر في الاعتبار ، وإدراك وجهة نظره يرتبطان إيجابياً بالرضا * .

إن التفاعل الإيجابي الفعال ينتج حين يعدل الناس سلوكهم في المواقف الاجتماعية كنتيجة لفهم وجهة نظر الآخر. ودون فهم مناسب لوجهة نظر الآخر قد يتفاعل الأفراد بطرق يدركها الطرف الآخر على أنها غير مناسبة ، وعلى النقيض يمكن رؤية الأفراد القادرين على وضع وجهة نظر الآخر في الاعتبار على أنهم أكثر إيجابية وأنهم يظهرون اهتماماً أكبر بحاجات واهتمامات ورغبات الآخر. ويسهم تغيير وجهة النظر والسلوك في إيجاد حل مناسب للمشكلات الجديدة.
(Long & Andrews , 1990) .

(٥) التعبير عن المشاعر الإيجابية :

يوجد نوعان من نماذج المشاعر الإيجابية:

الأول: تدخل المشاعر الإيجابية أثناء الصراع بشكل عشوائي ودون أي ارتباط

بعمليات أخرى.

الثانى: استخدام المشاعر الإيجابية فى إيقاف دائرة الصراع الزوجى بحيث تعمل فى خدمة تحريك المشاعر من الجانب السالب إلى جانب أقل سلبية (مشاعر محايدة). وعادة ما نجد أن الزوج من المتوافقين زواجياً يقلل المشاعر السالبة متوسطة الشدة ، فى حين تقلل الزوجة من المشاعر السالبة الشديدة (Gottman et al , 1998) .

